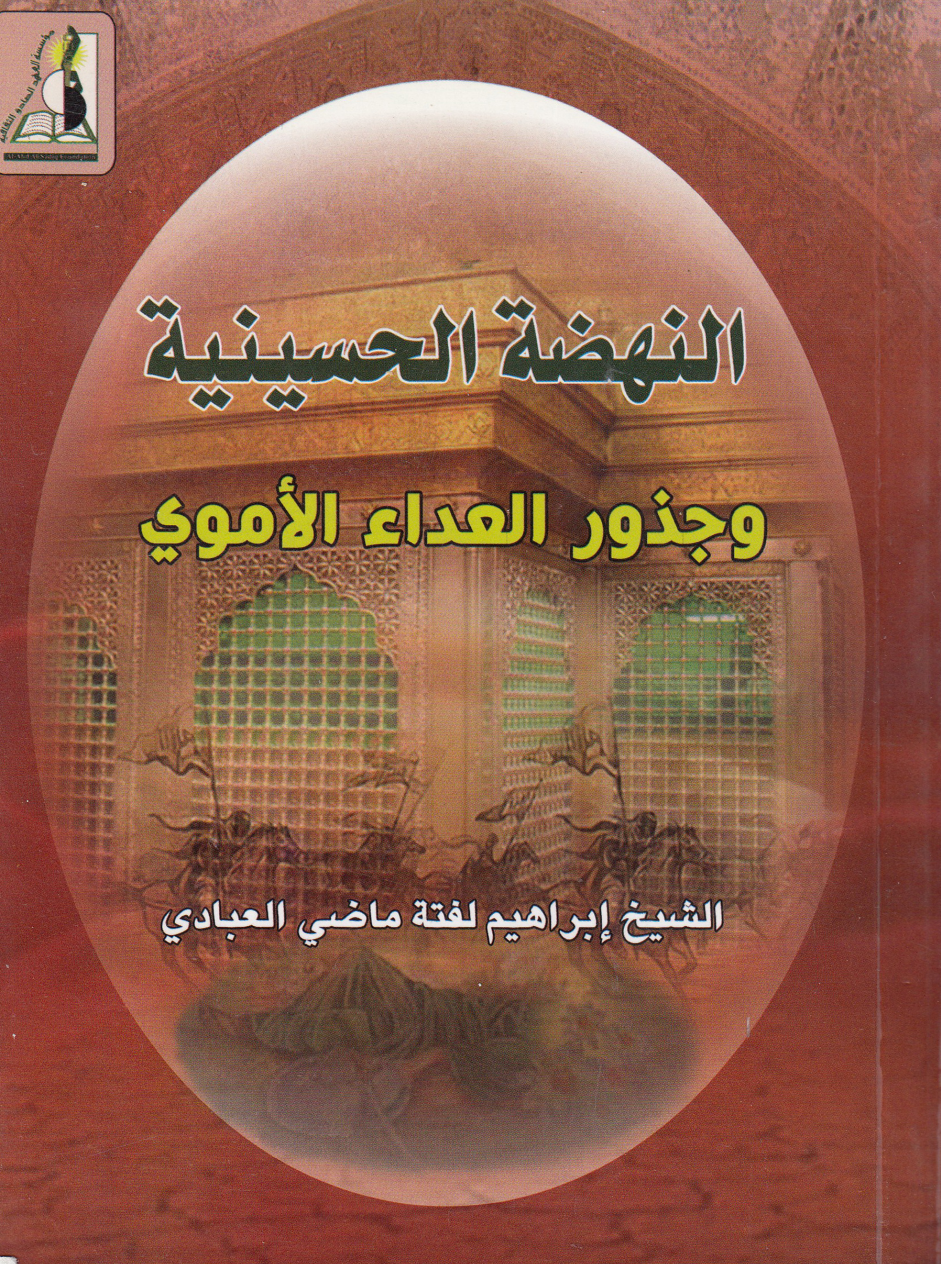

النهضة الحسينية

وجذور العداء الأموي

الشيخ إبراهيم لفتة ماضي العبادي

النهضة الحسينية

وجذور العداء الأموي

تأليف

الحاج الشيخ

إبراهيم لفته ماضي العبادي

هوية الكتاب

اسم الكتاب : ..... النهضة الحسينية

المؤلف : ..... الشيخ ابراهيم لفته ماضي العبادي

الناشر : ..... مؤسسة العهد الصادق الثقافية/فرع قم المقدسة

الإخراج الفني : .....حمزه الغرباوي

المطبعة : .....ثامن الحجج عليه السلام

الطبعة : ..... الأولى ١٤٣٢ هـ ـ ٢٠١١ م

الكمية : ..... ١٠٠٠ نسخة

جميع الحقوق محفوظة العهد الصادق

فرع قم المقدسة

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

* إلى من اختارهم الله واصطفاهم أمناء لوحيه
* إلى أبواب معرفة الله تعالى إلى رسول الله والأئمة الأطهار والسادة الأخيار عليهم السلام
* إلى السائرين على درب الحسين عليه السلام وسقطوا ضحايا بوجه الإرهاب.
* إلى والدي المرحوم ووالدتي الشهيدة السعيدة التي عفي قبرها مع المقابر الجماعية.

أهدي هذا الجهد المتواضع

﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ إِنَّ اللَّهَ يَجْزِى الْمُتَصَدِّقِينَ﴾. يوسف / ٨٨

كلمة المؤسسة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين وأفضل الصلاة وأتمّ التسليم على أشرف الخلق أجمعين محمد وآله الطاهرين واللّعن الدائم على أعدائهم إلى قيام يوم الدين.

أما بعد:

إن الثقافة نزعة فطرية جُبِل عليها الإنسان منذ بدء الخليقة إلى يومنا هذا، ومن أهم الأنماط الثقافية هي الثقافة الإسلامية، وقد حثت مما حثت عليه مدرسة أهل البيت عليهم السلام هو إشاعة تلك الثقافة وذلك من خلال تلامذة الأئمة الأطهار عليهم السلام في أنحاء المعمورة، وتم ذلك من خلال رفدهم بالوسائل التي تهيئ لهم نشر تلك الثقافة الإسلامية المحمدية الأصيلة، ثم أُنشئت على غرار ذلك المؤسسات الثقافية والإعلامية لتعميق الوعي الإسلامي، ومن تلك المؤسسات مؤسستنا (مؤسسة العهد الصادق الثقافية / فرع قم المقدسة) والتي كان لها شرف المساهمة في نشر الثقافة الإسلامية عموماً، وثقافة مدرسة أهل البيت عليهم السلام خصوصاً عبر دعمها للكتّاب والباحثين الإسلاميين من

خلال طباعة ونشر مصنفاتهم؛ لتعميق الوعي وتجذير المعارف الإسلامية في العقول والواقع الموضوعي.

شكر وتقدير

نتقدم بالشكر الجزيل لكل من ساهم بتحقيق وإخراج وطبع هذا المصنف ونشره وتوزيعه، نخص بالذكر كل من السيد يونس عكله الموسوي في مراجعة وقراءة النص وتبويبه، والأستاذ كاظم عوده الأسدي في تصحيح وتدقيق النص، سائلين المولى (عزّ وجلّ) أن يجعلهم حماة للدين والشرع القويم ومناراً وطريقاً لهداية عباده في أرضه، وأن يتقبل هذا الجهد ويمنّ على الجميع بالأجر والثواب إنه سميع مجيب.

مؤسسة العهد الصادق الثقافية

فرع قم المقدسة

المقدمة

الحمد لله الذي فضّل المجاهدين على القاعدين درجات، ورفع منازل الشهداء في أعالي الجنّات، وجعل الذين قتلوا في سبيله أحياء عند ربّهم يرزقون غير أموات وصلّى الله على سيّدنا محمّد أشرف البريّات، وأفضل المخلوقات، وعلى آله الأئمة الهداة، الذين ابتلوا بأعظم البليّات، وأفجع الرزايا والمصيبات.

وبعد فإنّ هذا البحث يقوم على أُمور أهمّها ثورة الإمام الحسين عليه السلام وأثاره وبعض سيرته وذكر مصيبته التي هي أعظم مصائب أهل البيت عليهم السلام وما جرى على أهل بيته باعتبار ثورته الإصلاحية التي قام بها ضدّ الانحراف الأموي الجائر الذي أراد أن يُطفيء نور الله والله متم نوره ولو كره المشركون والكافرون وكل من يريد أن يهدم الإسلام أو يتلاعب ويحرف في الرسالة التي جاء بها النبيّ صلى الله عليه وآله إلى هذه الأمّة، وثورة الحسين عليه السلام هي أعظم ثورة عرفها التاريخ الإسلامي حيث قامت على توعية وإرشاد كل من يقوم بثورة أو يقوم على ردع الظالم فكان بابه الأوّل هو الشهيد أبو عبد الله

الحسين عليه السلام. وصارت المدرسة الأولى لهم والمنبع الزاخر بالتضحيات والإيثار والشجاعة وبذل النفس وغيرها.

ولهذا قمنا بكتابة هذا البحث المتواضع، وسميناه النهضة الحسينية (الأسباب والدوافع)، بشكل قصة قصيرة في محتواها وعالية في مضمونها لكي يقرئها كل متعطش لمعرفة ما يجري لمحبين الحسين عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام ولماذا يزوروه في كل يوم بل كل ليلة جمعة عنده، ولماذا يقيمون عنده في الأعياد والمناسبات، ولماذا يأتون إليه مشياً على الأقدام من مسافات بعيدة، يقطعون فيها آلاف الكيلو مترات يتحملون فيها أنواع المصائب من بذل الجهد وخطورة الطريق والأمراض بل والقتل بأنواعه من؛ تفجير السيارات والأحزمة الناسفة، لكنهم لايهتمون بكل ما يجري عليهم، لأنهم يريدون لقاء إمامهم وحبيبهم الذي قدموا له كل ما يملكون، من قتل وصلب وتهجير، وقطع الرؤوس وسمل الأعين والرمي في النهر وغيرها من الطرق البشعة التي استعملها الحكام الطغاة من ذلك الزمان إلى وقتنا الحاضر، فهم يقولون على مدى الزمان: (يا ليتنا كنا معك سيدي أبا عبد الله)، فما زالت التضحيات بكل غالي ونفيس، فلو نظر الحاقد مرة واحدة وسئل ذلك الرجل الكبير لماذا تسير على الأقدام، بل فليسأل أصحاب المآتم والمواكب والبيوت والمضايف لماذا انتم تفتحونها وتقدمون هذه الخدمة من بذل الأموال واحترام الزائرين؟ فيجيبون

بكلام بسيط وسهل وبدون ارتباك؛ من اجل التبرك بزوار أبي عبد الله الحسين عليه السلام لان خادم أهل البيت عليهم السلام له درجة عظيمة ومكان مرموق يغبطه الناس في الدنيا والآخرة، فأقول يا أخي انتبه إلى نفسك وارجع إلى ضميرك وحكم عقلك وزن الأمور وراجع عقيدتك بدون تعصب، فلعلك كنت ضال عن الطريق، فانتبه إلى نفسك قبل أن تقع في الهاوية يوم لاينفع مال ولابنون، فادعوك إلى الالتحاق بسفينة النجاة التي جعلها لنا النبي صلى الله عليه وآله حيث قال في أكثر من مناسبة: «**إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا**»[1] فنسال الله أن يجعلنا وإياكم من المتمسكين بالثقلين في الدنيا ويرزقنا شفاعتهم في الآخرة.

خادم أهل البيت عليهم السلام

الحاج الشيخ إبراهيم

لفته ماضي العبادي

---

(١) الأحكام ، الامدي: ٢٤٦/١و صحيح مسلم: ٢٠/٣.

تمهيد

بفتح مكة سقطت المقاومة الجاهلية وانهار صرح الشرك، ودحر أبو سفيان ومن معه من قادة الضلال، وطهر البيت الحرام من الأصنام والوثنية، وفتح الرسول المنتصر ﷺ آفاق العفو والرحمة، وأطلق شعاره المعروف «اليوم يوم المرحمة اليوم تحمى الحرمة»، فقد جمع الرسول ﷺ أولئك الأعداء الذين حاربوه وأخرجوه من دياره، وخططوا لقتله، فخاطبهم بقلبه الكبير، وروحه الهادي، وخلقه العظيم، وهدفه الواسع لاستيعاب البشرية، بقوله :«**ما تظنون وما أنتم قائلون**»، قال سهيل: نظن خيرا ونقول خيرا، أخ كريم وابن عم كريم[1]، ليفتح أمامهم أبواب التوبة ويهيئ لهم الأجواء النفسية للتفاعل مع كلمة التوحيد، ومبادئ الهدى، وليشعرهم بعفو الإسلام وعظيم خلقه،

---

(١)تفسير العز بن عبد السلام الشافعي: ٥٣٧/١، الدر المنثور:٣٤/٤، ٩٨/٦، فتح القدير: الشوكاني:٥٤/٣، الدراية:١٣٠/٢، الدرر في المغازي والسير: ٢١١، السنن الكبرى: البيهقي: ٢١٢/٩، السيرة الحلبية :لابن الحلبي:٣/ ١٣، السيرة النبوية: ابن هشام:٤/ ٥٠-٦٥، الطبقات: بن سعد: ٢/ ١٣٥- ١٤٤،العجاب في بيان الأسباب: بن حجر:٨٨٩

وهكذا طوقهم رسول الله صلى الله عليه وآله بالفضل والمن، وأطلق سراحهم، فحملوا اسم «الطلقاء» كما حملوا اسما آخر هو: «مسلمة الفتح»، وهكذا توارى هذا الوجود خلف الستار، إلا أن تلك الفلول المهزومة لم تتفاعل مع روح الرسالة ولم يتغلغل الإسلام في أعماقها فظلت تختزن الماضي، وتحمل الأحقاد على الرسول القائد صلى الله عليه وآله وعلى الطليعة التي حققت الانتصار معه صلى الله عليه وآله وحطمت كبرياءهم وسيادتهم، لا سيما ابن عمه، زوج ابنته، علي بن أبي طالب عليه السلام كما حملوا العداء ذاته لذريته من بعده[1].

(١) المصدر السابق.

العداء الأموي للإسلام

بزغ نور الإسلام في ربوع مكة يحمل إلى الأرض مبادئ الهدى والعدل والسلام، فاستفاق طواغيتها على صوت الداعي منذرا بتحطيم تلك البنية الجاهلية البغيضة التي بنوها على الظلم والكفر، وامتهان كرامة الإنسان، وتكريس الجهل والخرافة والفساد، فتصدوا بكل ما يملكون من قوة ووسائل للمقاومة، لإيقاف الزحف الذي راح يدك معاقلهم، ويحطم كبرياءهم ومصالحهم الآثمة، وكان في طليعة أولئك الطواغيت الوجود الأموي المتمثل بأبرز رموزه في تلك المرحلة (أبو سفيان).

فقد كان لهذا الوجود دور خطير في مواجهة الانطلاقة والمسار الإسلامي في مرحلة الدعوة والنبوة، كما واصل دوره هذا في مرحلة الخلافة التي تلت عهد الرسول صلى الله عليه وآله.

وإنه لمن ضرورات فهم تأريخ الأمة والقوى الفكرية والسياسة والاجتماعية المؤثرة فيها أن يدرس المسار الأموي، وتحلل طبيعته

بطريقة علمية ونقد موضوعي على امتداد مواقفه التي مارسها رجاله وقادته، وأن دراسة وتحليل معالم ذلك المسار وممارساته في مرحلتي الدعوة والخلافة والسلطة تتطلب دراسة المواقف الأموية الآتية :

١ ـ الوقوف بوجه الدعوة ومحاربة الرسول صلى الله عليه وآله:

لقد تناول الشيخ الأميني في موسوعته العلمية الكبرى «الغدير»[١] الدور المعادي للرسول الكريم صلى الله عليه وآله الذي مثلته أبرز الشخصيات الأموية في مرحلة الدعوة وهم: «أبو سفيان» و«عقبة بن أبي معيط» و«الحكم بن العاص» وستجد في ما سجله من مواقف ووقائع وحوادث لتلك الشخصيات الأموية صورة متكاملة للدور الأموي في مواجهة الرسول الكريم صلى الله عليه وآله فقد كان أبو سفيان أحد أبرز ثلاث شخصيات تصدت لمواجهة الدعوة وهم: أبو لهب وأبو جهل، وقد تولى أبو سفيان قيادة الشرك والجاهلية في مكة، بعد موت أبي لهب ومقتل أبي جهل «الحكم بن هشام» في معركة بدر حيث اندحرت قوى الشرك والطاغوت، فكان القائد والمخطط والمعبئ لقوى العدوان بعد ذلك في أحد والأحزاب، والصاد لرسول الله صلى الله عليه وآله عام الحديبية عن البيت الحرام، في السنة السادسة من الهجرة، كما تولى عمليات

(١)انظر: الغدير:١/٢٤١.

التعذيب للمستضعفين من المسلمين، وأحد المخططين لاغتيال رسول الله صلى الله عليه وآله، ويستمر أبو سفيان في حربه وصراعه مع رسول الله صلى الله عليه وآله طوال إحدى وعشرين عاما حتى حقق الله النصر لنبيه بفتح مكة في السنة الثامنة من الهجرة فاضطر تحت ضغط القوة وعزة الإسلام وتعاظم تياره، إلى إعلان إسلامه بعد إقناع من العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وآله لحقن دمه.[1]

٢ ـ العجاجة والدم.

بعد مرحلة الانهيار عن مسرح الأحداث والابتعاد عن الأضواء والواجهة الاجتماعية الذي فرضه الأمر الواقع على الخط الأموي والذي استمر إلى ما بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله لعدد من السنين، إذ لم يستطع الوجود الأموي أن يسجل أي حضور في أحداث السقيفة والنزاع على الخلافة لسقوطه من الاعتبار الاجتماعي آنذاك، عدا محاولة أبي سفيان مع الإمام علي عليه السلام التي حاول فيها التأليب ودفع الموقف إلى المواجهة المسلحة بين المسلمين يوم قال لعلي عليه السلام: (إني لأرى عجاجة لا يطفئها إلا الدم. .. ثم قال لعلي: أبسط يدك أبايعك

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء: ١ / ٢٤ / ٢، سيرة ابن هشام: ٢ / ٢٧١، تاريخ الطبري: ٢ / ١٤٣، تاريخ دمشق: ٢٥ / ٥٤، تاريخ الإسلام للذهبي: ٣ / ٥٢٣.

فوالله لئن شئت لأملأنها عليك خيلا ورجالا فأبى عليه السلام)، ثم زجره قائلا: «**والله ما أردت بهذا إلا الفتنة، وإنك والله طالما بغيت للإسلام شرا، ولا حاجة لنا في نصيحتك**»[1].

وكان المسلمون الأولون يشعرون بأن الوجود الأموي سيعمل على تنظيم صفوفه وإعادة نشاطه من جديد، جاء ذلك التشخيص واضحاً في الحوار الذي دار بين أبي بكر والحباب بن المنذر والذي نصه: (أمنا تخاف يا حباب. .. وكان رسول الله صلى الله عليه وآله قد رأى في منامه أن بني أمية ينزون على منبره. .. وتلك رؤيا صادقة تكشف عن أن الموقف الأموي المواجه لن ينتهي بهزيمة الفتح، بل سيعود إلى المواجهة بعد تنظيم صفوفه، وقد تحقق ذلك، وبدأ الحزب الأموي بتنظيم أوضاعه الداخلية، والبحث عن مراكز السلطة والنفوذ لاستعادة مركزه المفقود بعد الفتح، فاستغل ظروف الصراع على الخلافة، بعد السقيفة وتألب الكثيرين على علي عليه السلام ووضع العقبات أمام تسلمه مقاليد الأمور،

---

(١) انظر: الكامل لابن الأثير ٢ / ٢٢٠، تاريخ الطبري ٣ / ٢٠٩ وزادا فزجره علي عليه السلام وقال: والله ما أردت بهذا إلا الفتنة، وانك والله طالما بغيت للإسلام شرا، لا حاجة لنا في نصحك، وروى الطبري أيضا: ٣ / ٢١٠ عن هشام بن محمد قال: أخبرني أبو محمد القرشي قال: لما بويع أبو بكر قال أبو سفيان لعلى والعباس: أنتم الأذلان ثم أنشد يتمثل: إن الهوان حمار الأهل يعرفه * والحر ينكره والرسلة الأجد ولا يقيم على ضيم يراد به * إلا الأذلان عير الحي والوتد هذا على الخسف معكوس برمته * وذا يشج فلا يبكى له أحد، العقد الفريد: ٢ / ٢٤٩.

وهو عليه السلام الخصم العقائدي للوجود الأموي، والسيف الذي حطم قوتهم العسكرية، وهو الذي علا كتف رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الفتح فحطم أصنامهم، وطهر البيت الحرام منها، لقد استغلوا تلك الفترة فجمعوا فلولهم ليواصلوا البحث عن أهدافهم، وكانت البداية تنطق من معاوية بن أبي سفيان حين ولاه عمر على الشام، فهو كما وصفه المؤرخون داهية ومخطط، وبلا تورع عما نهى الله عنه، راح يبني الوجود الأموي في الشام، ويستقطب العناصر الموالية، ويركز وجوده، ثم، أتت الفرصة سانحة لبناء القوة الأموية في خلافة عثمان بن عفان وبشكل لم يسبق لم مثيل[1].

٣ ـ بداية الحزب الحاكم.

لقد كان في تسلم معاوية لولاية الشام، وهي من أهم الولايات في الدولة الإسلامية، فرصة كبيرة للحزب الأموي لأن يركز وجوده،

---

(١) انظر: تاريخ الطبري :١١/ ٣٥٦، تاريخ الخطيب: ٣ / ٣٤٣، وجاء في تفسير الرازي: ٢٠ / ٢٣٦: قال سعيد بن المسيب: رأى رسول الله صلى الله عليه وآله بني أمية ينزون على منبره نزو القردة فساءه ذلك، وفي ص ٢٣٧ قال ابن العباس: (رضي الله عنهما): الشجرة بنو أمية، يعني الحكم بن أبي العاص قال: ورأى رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام أن ولد مروان يتداولون منبره... الحديث، وجاء في الدر المنثور: ٥ / ٣١٠: عن عائشة أنها قالت لمروان بن الحكم: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لأبيك وجدك: (إنكم الشجرة الملعونة في القرآن).

ويبث أفكاره وآراءه، وأن يبني له قوة عسكرية وقاعدة وأنصارا تناسب المرحلة الجديدة، فالشام بعيدة عن مركز الخلافة، وحديثة عهد بالإسلام فلم يطلع أهلها على مرحلة النبوة، ولا على بناة الإسلام والسابقين من الصحابة، كعلي وأبي ذر وعمار وغيرهم، كما كانت بلدا غنيا مكتفيا بموارده، فاستغل معاوية كل ذلك لتنفيذ المخطط والأهداف، وحين ولي الخلافة عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس استغل الحزب الأموي ذلك، فتسللوا إلى أجهزة الدولة بتعيينه إياهم ولاة وأمراء وقادة جيوش ومتنفذين، ومن خلال ما أعاده لهم من اعتبار، وما آثرهم به من بيت المال على بقية المسلمين، تحول الأمويون إلى حزب حاكم وطبقة رأسمالية مستغلة مستبدة، بعد أن كانوا فئة منبوذة تحمل راية الحرب ضد رسول الله صلى الله عليه وآله وكان صلى الله عليه وآله يلعن بعض قادتهم ويطرد بعضهم الآخر وينفيه من المدينة، كالحكم بن أبي العاص، كان الرسول يفعل ذلك، ويقول: «**لكل أمة آفة، وآفة هذه الأمة بنو أمية**»[1]، وسنجد في دراسة العلامة الأميني لسياسة عثمان، وإعادته للاعتبار الأموي توثيقا كافيا لإيضاح التسلل الأموي إلى أجهزة الدولة وسيطرتهم على مقاليد الأمور في تلك الفترة، مما

(١) صحيح البخاري: ٧١/٤، كتاب الدعوة، وصحيح مسلم: ٣٩١/٢، كتاب البر والصلة.

أثار حفيظة الصحابة والتابعين لهم بإحسان، لا سيما طلائعهم التي ساهمت في حمل الدعوة، وقتال المشركين، وفي مقدمتهم بنوأمية في بدر وأحد والأحزاب ويوم الفتح، ومما يعكس شدة رفض جيل الصحابة والتابعين للتسلط الأموي هو الثورة على عثمان وقتله، والمنع من دفنه[١].

٤ ـ تصعيد الموقف وتمزيق وحدة المسلمين.

من الكوارث المأساوية الكبرى التي أحدثها الأمويون في الأمة الإسلامية هي تمزيق وحدة المسلمين وشق الصف الإسلامي، فقد تبنى الأمويون أمثال مروان بن الحكم ومعاوية بن أبي سفيان تصعيد الموقف في المدينة المنورة بين الخليفة عثمان بن عفان، وبين الصحابة الذي عارضوا سياسته التي اعتمدت الحزب الأموي في السلطة والنفوذ، إضافة إلى الممارسات المالية والقضائية والسلوكية الأخرى التي استنكرها الصحابة، وذكرها المؤرخون من مختلف الاتجاهات والمذاهب في كتبهم، فأدى هذا التصعيد إلى الحيلولة

---

(١)وللمزيد من الإيضاح تراجع كتب التاريخ، كتاريخ الطبري: ١ / ١٨٥ يقول الكتاب: بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فإن أهل المدينة قد كفروا وأخلفوا الطاعة ونكثوا البيعة فابعث إلى من قبلك من مقاتلة أهل الشام على كل صعب وذلول. الطبقات الكبرى: ٤ / ٢٢٧ ، الكامل في التاريخ ٣ / ١٠٤، ١٦٧، مروج الذهب: ٢ / ٣٥٠.

دون إصلاح الأوضاع من قبل الذين سعوا في الإصلاح، وفي مقدمتهم الإمام علي عليه السلام حيث طلب من عثمان العدول عن سياسته والتمسك بالكتاب والسنة، والاستجابة لنداءات الإصلاح والتغيير، والتخلي عمن حوله كمروان بن الحكم وسعيد والوليد، والتوقف عن اضطهاد الصحابة كعمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود، وغيرهم كما اضطهد أبو ذر الغفاري من قبل، فقد أجج مروان بن الحكم ومعاوية وفئة أخرى من الأمويين نار الموقف حتى قتل عثمان، ووقعت الفتنة، فرفعوا شعار الثأر لدم عثمان، ورأى معاوية في ذلك فرصة سانحة للتمرد على الخلافة الشرعية والانفصال عن الدولة الإسلامية ومحاربة الإمام علي عليه السلام الذي لجأت إليه الأمة، وبايعته بالخلافة بعد مقتل عثمان، ووقف الصحابة من المهاجرين والأنصار يتقدمهم البدريون في ذلك إلى جانبه، واستطاع معاوية أن يعبئ بلاد الشام ضد الخلافة الشرعية لبعدها عن المدينة المنورة مركز الوحي والوعي الإسلامي وعدم تفاعل أهلها مع مرحلة الدعوة، والتعريف على طلائع الإسلام ورجالاته، وجهلهم بمكانة الإمام علي عليه السلام ودوره الفريد من بين جميع الصحابة في تركيز دعائهم الإسلام والدفاع عنه، فاستطاع معاوية أن يضللهم، ويشوه في نفوسهم صورة الإمام علي عليه السلام الناصعة، فقد أقدم معاوية وهو يقود الحزب الأموي، على شق المسلمين، وإقامة

كيان سياسي للأمويين في الشام، وهكذا استأنف الأمويون الصراع والحرب الدعائية المضللة ضد آل البيت النبوي عليهم السلام تترس معاوية بن أبي سفيان في بلاد الشام، وكرس كل جهوده لتضليل الرأي العام، واعتمد المال والإغراء بالمناصب والإرهاب أسلوبا لمواجهة الإمام علي عليه السلام فكانت صفين المعركة المسلحة سنة (٣٦ هـ)، التي انتهت بالتحكيم والخداع[١]، وتثبيت معاوية وانشقاق جيش الإمام علي عليه السلام، وتكون فرقة الخوارج التي اغتالت الإمام علياً عليه السلام في ما بعد، وفشلت في قتل معاوية وعمرو بن العاص[٢]، وبعد استشهاد الإمام علي عليه السلام تولى الإمام السبط الحسن بن علي عليه السلام الإمامة بعده، فرأى معاوية في

---

(١) تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر ٣٣٨/١ ،الاستيعاب:٥٣٩/٢ ،أسد الغابة: ابن الأثير:٤/ ٢١٦، المناقب ، الخوارزمي:١٢٢.

(٢) قال الطبري: ٥ / ٣٥٩: (كلمة (خرج) لا تعني مجرد المغادرة، لأنها اكتسبت منذ انشقاق (الخوارج) على الإمام علي عليه السلام في صفين مدلولا رافضا تمرديا ذا نكهة خاصة، لم يكن محبوبا في العراق بوجه خاص، وقد حاول رجال النظام إسباغ هذا المفهوم على ثورة الحسين عليه السلام منذ بداية المواجهة، فعبيد الله بن زياد ـ على سبيل المثال ـ في أول خطبة خطبها في الكوفة، بعد وصوله إليها من البصرة، يطلب إلى موظفي الإدارة الحكومية في الكوفة أن يكتبوا له من في عشائرهم، من الحرورية وأهل الريب).

استشهاد الإمام علي عليه السلام فرصة للإجهاز على الخلافة الشرعية، والاستيلاء على الدولة الإسلامية، فجهز جيشه، وتقدم نحو العراق لمحاربة الإمام الحسن عليه السلام وانتهت هذه المرحلة بصلح الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية، وتسليم الخلافة له وفق شروط لم يف معاوية بها[1].

٥ ـ خيانة معاوية معاهدة الصلح

وما إن تمكن الأمويون من فرض وجودهم على الدولة والأمة حتى ألغى معاوية كل شرط اشترطه الإمام الحسن عليه السلام، ومن تلك الشروط عدم ملاحقة أتباع أهل البيت عليهم السلام، وترك سب الإمام علي عليه السلام فقد شن معاوية حربا شعواء على آل البيت وأتباعهم ومن شايعهم، ومنع التحدث بفضائل علي عليه السلام ومناقبه التي لم يحظ أحد من الصحابة بمثلها، ولم يكتف بذلك، بل أصدر أمرا بسب علي عليه السلام على المنابر في جميع البلاد الإسلامية، ومن فوق مآذنهم، فمعاوية هو أول من سبب الصحابة على المنابر والمآذن، وتبعه الأمويون على ذلك حتى عام (٩٩ هـ) في خلافة عمر بن عبد العزيز الذي أوقف السب واستبدله بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي

(١) انظر: تاريخ الطبري: ٦ / ٩٢، الكامل لابن الأثير: ٣ / ١٧٥ ، البداية والنهاية: ٨ / ١٤، تذكرة الخواص للسبط بن الجوزي: ١١٣.

﴿الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[١].

٦ ـ شن الحرب على أهل البيت عليهم السلام.

الحديث عن الحرب التي شنها الأمويون ضد آل البيت وأشياعهم حديث مفعم بالدم والأسى والشجون، فبعد حروب معاوية مع الإمام علي عليه السلام وولده الإمام الحسن السبط عليه السلام الذي انتهى بالصلح، وبعدما دس السم الذي أدى إلى استشهاده عليه السلام تتبع معاوية بن أبي سفيان شيعة علي وأتباعه فقتلهم حيثما وجدهم، فقتل حجر بن عدي الذي وصفه الحاكم في المستدرك بقوله: (إنه راهب أصحاب محمد صلى الله عليه وآله)[٢]، كما قتل: شريك بن شداد الحضرمي، وصيفي بن شداد الشيباني، وعمرو بن الحمق الخزاعي، ورشيد الهجري، وعبد الله بن يحيى الحضرمي، وعبد الرحمن بن حسان العنزي وغيرهم، وجاء بعد معاوية ابنه يزيد ليواصل الحرب على آل رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه، فكانت فاجعة كربلاء التي أدمت قلوب المسلمين، فقد قتل فيها الحسين بن علي عليه السلام سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسبعة عشر من أهل

---

(١) النحل/٩٠.

(٢) انظر: المستدرك: الحاكم النيسابوري: ٣/ ٤٦٨.

بيته وستون رجلا من أصحابه، استشهدوا جميعا في كربلاء يوم العاشر من محرم الحرام عام (٦١ هـ) مما فجر براكين الثورات ضد الحكم الأموي، فثارت المدينة المنورة فقمعها يزيد بن معاوية واستأصل البدرين، فلم يبق بدري واحد بعد تلك الواقعة المروعة، قال ابن قتيبة الدينوري: (وذكروا أنه قتل يوم الحرة من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله ثمانون رجلا، ولم يبق بدري بعد ذلك، ومن قريش والأنصار سبعمائة.. .)[1]، وحدثت ثورات أخرى كثورة التوابين وثورة المختار، وتواصل الإرهاب الأموي ضد آل البيت عليهم السلام فقتل هشام بن عبد الملك زيد بن علي ابن السبط الحسين بن علي بن أبي طالب سنة (١٢١ هـ) ثم قتل ابنه يحيى[2]، وهكذا تواصل العداء الأموي لآل البيت عليهم السلام حتى سقوط دولتهم سنة (١٣٢ هـ).

٧ ـ الاستيلاء على السلطة

استولى معاوية على السلطة وخلا الجو للحزب الأموي، وهكذا بدأ فصل جديد في تأريخ الأمة وأسست الدولة الأموية سنة (٤١ هـ) وامتدت حتى سنة (١٣٢ هـ) وولي الخلافة فيها معاوية وابنه يزيد ثم

---

(١) انظر:الإمامة والسياسة: الدينوري:١٨٥/١.

(٢) تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر:٤٧٦/١٩.

معاوية بن يزيد الذي رفض تسلم الخلافة، ورأى أنها حق لآل البيت عليهم السلام وبتنازله انتهت خلافة آل أبي سفيان لتبدأ خلافة آل مروان أخلاف طريد رسول الله صلى الله عليه وآله التي استمرت حتى عام (١٣٢ هـ)[١].

٨ ـ مبايعة يزيد بن معاوية

لقد فهم الأمويون أن الدولة والسلطة في الأمة هي ملك لهم، بل وبنوا سياستهم على أساس استعباد الأمة، فقد فرض يزيد بن معاوية على المسلمين أن يبايعوه على أنهم عبيد له[٢] ورفض أن يبايعوه على كتاب الله وسنة رسوله، وابتدعوا نظرية الوراثة، وحولوا نظام الحكم إلى نظام ملكي وراثي تمتهن فيه الأمة وتسحق إرادتها، سجل السيوطي هذه الحقيقة عن سعيد بن طهمان عن سفينة قال: (قلت لسفينة: إن بني أمية يزعمون أن الخلافة فيهم، قال: كذبوا بنو الزرقاء بل هم ملوك من أشد الملوك، وأول الملوك معاوية)[٣]، ولذلك شجب

---

(١) **انظر**:الإصابة :ابن حجر:٣٨٤/٣، تاريخ دمشق، ابن عساكر:٨٥/٢٢- ٨٧

(٢) انظر:الإمامة والسياسة، الدينوري:١٤٣/١، الكامل في التاريخ: ٣/ ٥٠٤،تاريخ الطبري:٢٢٤/٤،تاريخ الإسلام:١٦٨/٤.

(٣) الزرقاء امرأة من أمهات بني أمية، رواه ابن حبان: تحفة الأحوذي ٤٧٩ ، رواه الترمذي: ٣ / ٢٣٠ وقال: هذا حديث حسن ،رواه الجامع ٥٠٣ / ٤، وأبو داوود حديث ٤٦٤٦ ، الحديث تحدث به أبو ذر في وجود عثمان وكعب **الأحبار**، ومعاوية كان يقرب

الصحابة والتابعون النظام الأموي هذا ورفضوه، كما شجبه الإمام الحسين بن علي عليه السلام ورفضه بشدة عندما قرر معاوية بن أبي سفيان جعل الحكم وراثيا وفرض يزيد حاكما على المسلمين، مما دعاه إلى الثورة على السلطة عندما تسلمها يزيد بعد أبيه وكانت ثورته عام (٦١ هـ)، وكان هذا التغيير مصادرة كبرى لإرادة الأمة ومخالفة لأصول الشريعة، وفرض الحكام الأمويون عليها الواحد تلو الآخر، فقاومتهم الأمة بالقوة والسلاح حتى سقطت دولتهم عام (١٣٢ هـ) .

٩ ـ الفساد والانحراف الأخلاقي

لقد أجمع المؤرخون والمختصون على أن الحكام الأمويين هم الذين أدخلوا الخلاعة والمجون والفجور وشرب الخمر وممارسة المحرمات الشاذة إلى مؤسسة الخلافة، حتى أصبحت دار الخلافة مركزا للهو والعبث والفساد، ففقدت الخلافة هيبتها الروحية ومكانتها في النفوس، فكان الخليفة منهم يذكر باللهو والغناء وشرب الخمر والفجور والظلم وجمع الأموال وامتهان الأمة وسلبها حقوقها ومصادرة

مروان منه لمعرفته أن في صلبه ملوكا ، والإمام علي عليه السلام أخبر مروان بالأحاديث التحذيرية بعد الجمل ،والحديث أخرجه أيضا ابن أبي عاصم في: السنة: ٢ / ٥٥٠ برقم ١١٨٥، تاريخ الخلفاء: السيوطي:١٩٥.

إرادتها، حيث أخرج الواقدي من طرق أن عبد الله بن حنظلة الغسيل قال :«والله ما خرجنا على يزيد حتى ظننا أن نرمى بالحجارة من السماء، إنه رجل ينكح أمهات الأولاد، والبنات، والأخوات ويشرب الخمر ويدع الصلاة»[١]، وقال الذهبي: «ولما فعل يزيد بأهل المدينة ما فعل، مع شربه الخمر وإتباعه المحرمات اشتد عليه الناس وخرجه عليه غير واحد»[٢]، ووصفه عبد الملك بن مروان بالخليفة المأفون بقوله: «ألست بالخليفة المأفون، يعني يزيد»[٣]، قالت أم الدرداء لعبد الملك بن مروان مرة «بلغني يا أمير المؤمنين أنك شربت الطلاء بعد النسك والعبادة؟ قال: إي والله والدماء قد شربتها» [٤]، ووصف الذهبي الوليد بن يزيد بن عبد الملك بقوله: «اشتهر بالخمر والتلوط فخرجوا عليه لذلك.. .»[٥]، وقال ابن الأثير: «إن عبد الملك بن مروان أول من نهى عن الأمر بالمعروف، فإنه قال في خطبته بعد قتل ابن الزبير: ولا يأمرني

---

(١) تاريخ الإسلام: الذهبي :٢٧/٥.

(٢) تاريخ الخلفاء: السيوطي:٢٠٨.

(٣) الكامل في التاريخ: ٣٩١/٤، تاريخ الخلفاء: السيوطي: ٢١٨، خلافة عبد الملك بن مروان.

(٤) تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر: ٣٧/ هامش ١٥١، تاريخ الخلفاء، السيوطي:٢٠١.

(٥) سير أعلام النبلاء: الذهبي: ٥ / ٣٧٣ ،تاريخ الإسلام: الذهبي:٨/ ٢٩٤.

أحد بتقوى الله بعد مقامي هذا إلا ضربت عنقه»[١]، من تلك اللقطات والمئات من الممارسات المحرمة التي ارتكبها الحكام الأمويون في قصور الخلافة يتضح لنا الدور الأموي في إسقاط الأخلاقية الإسلامية في مؤسسة الخلافة التي أراد لها الله أن تكون قدوة ومنارا للهدى والإصلاح.

١٠ ـ وضع الحديث

وفي مرحلة الحكم الأموي كثر وضع الحديث، والتشجيع عليه من قبل معاوية وبشكل رسمي، كما كثر دخول الإسرائيليات في الحديث والتفسير والعقائد، ويذكر الباحثون في تاريخ الوضع والوضاع أن الكذب قد بدأ في عصر رسول الله، ولكنه كان عملا فرديا وممارسة من أناس كذابين، أما الوضع بشكله المتبني فقد بدأ عام (٤١ هـ) بدأه معاوية بن أبي سفيان، وأن الوثائق التاريخية التي وردت إلينا تؤكد ذلك، قال أبو جعفر الإسكافي المعتزلي: «إن معاوية وضع قوما من الصحابة وقوما من التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي عليه السلام تقتضي الطعن فيه والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جعلا يرغب في مثله فاختلفوا ما أرضاه، منهم: أبو هريرة وعمرو بن العاص والمغيرة بن

---

(١) الكامل في التاريخ: ٣٩١/٤.

شعبة ومن التابعين عروة بن الزبير»[١]، وقال ابن عرفة: «إن أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة افتعلت أيام بني أمية تقربا إليهم بما يظنون أنهم يرغمون به أنوف بني هاشم»[٢].

(١) شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد: ٤ / ٦٣.

(٢) المصدر السابق: ١١/ ٤٦.

ابرز الشخصيات الأموية المعادية للإسلام

إن دراسة الحوادث والوقائع والمواقف التأريخية التي مارسها حكام أمويون تكشف لنا بوضوح حقيقة الصراع الأموي ضد الرسول صلى الله عليه وآله وامتداده المتمثل في علي وآله عليهم السلام وسنرى وضوح ذلك من خلال دراسة شخصيات أموية شملت أبا سفيان ومعاوية ويزيد بن معاوية والحكم بن العاص ومروان.

اولاً: أبو سفيان

هو صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي القرشي، وهو والد يزيد ومعاوية وغيرهما، وله كنية أخرى: أبو حنظلة، تزوج من هند بنت عتبة المشهورة في مكة، روى حديثا واحدا، ولد قبل عام الفيل بعشر سنين وكان تاجرا يجهز التجار بماله وأموال قريش إلى الشام وغيرها من أرض العجم، وكان يخرج أحيانا بنفسه[1].

---

(١) انظر: تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر: ٤٢١/٢٣، الإصابة: بن حجر: ٣٣٣/٣، تحت رقم (٤٠٦٦).

وكان أكثر العرب في الجاهلية يعبدون الأصنام ليقربوهم إلى الله زلفى، فرغم عبادتهم للأصنام وغيرها إلا أنهم كانوا يعتقدون بوجود الخالق، أما أبو سفيان فكان له مذهب خاص وهو الزندقة، قال المقريزي فيه: (وكان كهفا للمنافقين، وأنه كان في الجاهلية زنديقا)[١]، والزنديق[٢] «القائل ببقاء الدهر» وقد قالوا ما قال القرآن عنهم ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾[٣]، فهذا هو مذهب أبي سفيان في الجاهلية، وقد تعجب من هذا، ولكن سيزداد عجبك إذا عرفت أن هذا الاعتقاد بقي مسيطرا على أبي سفيان حتى بعد إسلامه .

عداوة أبو سفيان للنبي

كان أبو سفيان على رأس المحاربين للنبيﷺ والإسلام، ومظاهر عدائه كثيرة، فقد مشى مع جمع من رجال قريش إلى أبي طالب قائلين له: (إن ابن أخيك قد سب آلهتنا، وعاب ديننا، وسفه أحلامنا، وضلل

---

(١) انظر:النزاع والتخاصم: المقريزي:٥٨ ، الاستيعاب: ١٦٧٨/٤.

(٢) لسان العرب: ابن منظور: ١٠/ ١٤٧،مادة(زندق).

(٣) الجاثية/٢٤.

آباءنا، فإما أن تكفه عنا وإما أن تخلي بيننا وبينه، إلخ)[١]،وهو أحد المجتمعين بدار الندوة الذين تفرقوا على رأي أبي جهل من أن يؤخذ من كل قبيلة شاب فتى جليد نسيب وسط، ثم يعطي كل منهم سيفا صارما فيعمدوا إلى رسول الله ﷺ فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه[٢]، وقد أنفق على جيش المشركين في أحد أربعين أوقية ذهبا، وكل أوقية اثنان وأربعون مثقالا، وقاد بنفسه جيش المشركين، وقتل[٣] من خيار أصحاب رسول الله سبعين رجلاً بين مهاجرٍ وأنصاري، منهم أسد الله حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه. وقاتل رسول الله ﷺ في يوم الخندق أيضا، وكتب إليه: (باسمك اللهم أحلف باللات والعزى وساف ونائلة وهبل، لقد سرت إليك أريد استئصالكم، فأراك قد اعتصمت بالخندق، فكرهت لقائي، ولك مني كيوم أحد، وبعث بالكتاب مع أبي سلمة الجشمي، فقرأه للنبي أبي بن

---

(١) الكامل في التاريخ:٦٣/٢، البداية والنهاية: ابن كثير:٦٣/٣، السيرة النبوية: ابن هشام:١٧١/١.

(٢) انظر:السيرة النبوية: ابن هشام ٢ /٩٤، وأخرجه البخاري في المغازي ٢ / ٥٨٢، وفي التفسير بلفظ فلانا وفلانا ولم يسم أحدا تحفظا على كرامة أبي سفيان وشاكلته ، تفسير الطبري ٩ / ١٥٩، ١٦٠، تفسير الرازي ٤ /٣٩٧.

(٣) النزاع والتخاصم: المقريزي: ٥٢-٥٧، الطبقات الكبرى :ابن سعد:٢٨- ٣٢،غزوة احد.

كعب رضي الله عنه فكتب إليه رسول الله ﷺ: قد أتاني كتابك، وقديما غرك، يا أحمق بني غالب وسفيههم، بالله الغرور، وسيحول الله بينك وبين ما تريد، ويجعل لنا العاقبة، وليأتين عليك يوم أكسر فيه اللات والعزى وساف ونائلة وهبل يا سفيه بني غالب)، ولم يزل يحاد الله ورسوله، حتى سار رسول الله ﷺ لفتح مكة[1].

إسلام أبو سفيان

لم يكن إسلام أبي سفيان عن رغبة واختيار، بل عن رهبة واضطرار وهذا ما تثبته لنا قصة إسلامه، فحين توجه رسول الله ﷺ لفتح مكة أتى العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه بأبي سفيان إلى رسول الله ﷺ وقد أردفه، وذلك أنه كان صديقه ونديمه في الجاهلية، فلما دخل به على رسول الله ﷺ سأله أن يؤمنه، فلما رآه رسول الله ﷺ قال له: (ويلك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله ؟، فقال: بأبي أنت وأمي ما أوصلك وأجملك وأكرمك ! والله لقد ظننت أنه لو كان مع الله غيره لقد أغنى عني شيئا. فقال: يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله ؟، فقال: بأبي أنت وأمي ما أوصلك

(١) النزاع والتخاصم: المقريزي: ٥٧، الطبقات الكبرى: ابن سعد :٥٠/٢، غزوة الأحزاب، السيرة الحلبية، الحلبي:٦٥٧/٢.

وأجملك وأكرمك، أما هذه ففي النفس منها شئ ! فقال له العباس: ويلك اشهد بشهادة الحق قبل أن تضرب عنقك، فشهد وأسلم)[١]، فهذا حديث إسلامه كما ترى، واختلف في حسن إسلامه فقيل: إنه شهد حنينا مع رسول الله ﷺ، وكانت الأزلام معه يستقسم بها، وكان كهفا للمنافقين، وإنه كان في الجاهلية زنديقا [٢].

فقد أسلم تحت التهديد خوفا على حياته وهو مصداق لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾ [٣]، فلم يكن إسلامه عن اطمئنان وقناعة، قال ابن عبد البر بعد أن أورد قوله أبي سفيان: (ما أدري ما جنة ولا نار، وله أخبار من نحوه هذا رديئة ذكرها أهل الأخبار، ولم أذكرها، وفي بعضها يدل على أنه لم يكن إسلامه سالما)، وقد قال علقمة فيه[٤]:

إن أبا سفيان من قبله ... لم يك مثل العصبة المسلمة

لكنه نافق في دينه ... من خشية القتل على المرغمة

---

(١) السيرة النبوية: ابن كثير:٥٤٩/٣ ، السيرة الحلبية، الحلبي: ١٨/٣، تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر:٤٤٩/٢٣، تاريخ الطبري:٣٣١/٢.

(٢) انظر: النزاع والتخاصم: المقريزي:٥٨ ، الاستيعاب: ١٦٧٨/٤.

(٣) غافر/٨٤

(٤) الاستيعاب:٤ /٨٧-٨٨

بعـــدا لـــصخر مـــع أشـــياعه في جاحم النار لدى المضرمة[١]

ولما هم أبو سفيان أن يسلم كتب ابنه معاوية إليه شعرا ينهاه عن ذلك، وقال :

يـا صـخر لا تـسلمن يومـا فتفـضحنا بعـد الـذين ببـدر أصـبحوا مزقـا

خـالي وعمـي وعـم الأم ثـالثهم وحنظل الخير قد أهدى لنا الأرقا

لا تـركنن إلـى أمـر يكلفنـا والراقـصات بـه فـي مكـة الخرقـا

فالموت أهون من قول العداة: لقد حاد ابن حرب عن العزي إذا فرقا[٢]

أبو سفيان يثير الفتنة

وكان أبو سفيان يوم بويع أبو بكر يثير الفتن، ويقول: إني لأرى عجاجة لا يطفئها إلا دم، يا آل عبد مناف فيم أبو بكر من أموركم ؟ أين المستضعفان ؟ أين الأذلان علي وعباس ؟ ما بال هذا الأمر في أقل حي من قريش ؟ ثم قال لعلي: ابسط يدك أبايعك، فوالله لئن شئت لأملأنها عليه خيلا ورجالا. فأبى علي عليه السلام عليه، فتمثل بشعر المتلمس:

ولـن يقـيم علـى خـسف يـراد بـه إلا الأذلان عيـر الحـي والوتـد

---

(١)تاريخ الطبري:٣٥٧/١١،كتاب نصر بن مزاحم في حرب صفين:١٩٥.

(٢)راجع: تذكرة الخواص: سبط الجوزي: ١١٥، شرح ابن أبي الحديد:١٠٢/٢و جمهرة الخطب:٤٢٨/١.

هذا على الخسف مربوط برمته وذا يشج فلا يبكي له أحد

فزجره علي، وقال: «والله ما أردت بهذا إلا الفتنة، وإنك والله طالما بغيت للإسلام شرا، لا حاجة لنا في نصحك» [١]، وجعل يطوف في أزقة المدينة، ويقول :

بني هاشم لا تطمعوا الناس فيكم

ولا سيما تيم بن مرة أو عدي

فما الأمر إلا فيكم وإليكم

وليس لها إلا أبو حسن علي

فقال عمر لأبي بكر: إن هذا قد قدم وهو فاعل شرا، وقد كان النبيﷺ يستألفه على الإسلام فدع له ما بيده من الصدقة. ففعل، فرضي أبو سفيان وبايعه». [٢]

موقف أبو سفيان في اليرموك

تعامل رسول الله ﷺ مع أبي سفيان بعد أن أعلن إسلامه فعامله مع المؤلفة قلوبهم، فأعطاه من غنائم حنين مائة بعير وأربعين أوقية فضة وأعطى ابنيه يزيد ومعاوية كل واحد مثله ليتألف قلوبهم على الإسلام،

---

(١) الكامل في التاريخ:٣٢٦/٢.

(٢)العقد الفريد:٢٧١/٣.

غير أن أبا سفيان بقي يحمل في نفسه روح التحامل على الإسلام والكيد له، وقد ظهر ذلك الموقف يوم معركة اليرموك. ففي خبر عبد الله بن الزبير: (إنه رآه يوم اليرموك، قال فكانت الروم إذا ظهرت، قال أبو سفيان: إيه بني الأصفر ! فإذا كشفهم المسلمون قال أبو سفيان:

وبنو الأصفر الملوك ملوك الروم لم يبق منهم مذكور

فحدث به ابن الزبير أباه، فلما فتح الله على المسلمين، قال الزبير: قاتله الله يأبى إلا نفاقا، أولسنا خيرا من بني الأصفر ؟).[١]

لا أدري ما جنة ولا نار

في كل موقف يفصح أبو سفيان عما في نفسه من رواسب الجاهلية وعقائدها، ولعل أخطر ما صرح به أبو سفيان بعد إسلامه هو نكرانه لعالم الآخرة، ولما فيها من جزاء، نقرأ ذلك فيما نقله إلينا ابن عبد البر في الإستيعاب من طريق ابن المبارك عن الحسن: (أن أبا سفيان دخل على عثمان حين صارت الخلافة إليه فقال: صارت إليك بعد تيم وعدي فأدرها كالكرة، واجعل أوتادها بني أمية، فإنما هو الملك ولا أدري ما جنة ولا نار، فصاح به عثمان: قم عني فعل الله بك وفعل)[٢]،

---

(١)الاستيعاب: ابن عبد البر:١٦٧٩/٤.

(٢)المصدر السابق.

وفي تاريخ الطبري: (يا بني عبد مناف تلقفوها تلقف الكرة، فما هناك جنة ولا نار)، وفي لفظ المسعودي: (يا بني أمية تلقفوها تلقف الكرة، فوالذي يحلف به أبو سفيان ما زلت أرجوها لكم ولتصيرن إلى صبيانكم وراثة)[١]، نعم؟ عاش أبو سفيان في الجاهلية زنديقا، وعاش في كنف الإسلام قرابة خمسة عشر عاما حتى استلم عثمان الخلافة فأعلن عن عقيدته التي كتمها بصريح العبارة(لا أدري ما جنة ولا نار)! وهذه العبارة عبارة مرتد في الفقه الإسلامي، لأنه أنكر ضروريا من ضروريات الدين، لكن خليفة المسلمين لم يتخذ أي إجراء ضده، بل نراه يغدق عليه من أموال المسلمين!

عطية الخليفة عثمان أبا سفيان

حيث أعطى الخليفة عثمان أبا سفيان بن حرب مائتي ألف من بيت المال في اليوم الذي أمر فيه لمروان بن الحكم بمائة ألف من بيت المال. قال ابن أبي الحديد في الشرح[٢]، والأميني في الغدير: (لا أرى لأبي سفيان المستحق للمنع عن كل خير أي موجب لذلك العطاء الجزل من بيت مال المسلمين، وهو كما في الإستيعاب لأبي عمر عن

---

(١) تاريخ الطبري:١٨٥/٨، مروج الذهب:المسعودي: ١٦٥/٥-١٦٦.

(٢) شرح نهج البلاغة :ابن أبي الحديد:٦٧/١.

طائفة كان كهفا للمنافقين منذ أسلم، وكان في الجاهلية ينسب إلى الزندقة ..)[١]: وأخرج ابن عساكر في تاريخه عن أنس: (أن أبا سفيان دخل على عثمان بعدما عمي فقال: هل هنا أحد ؟ فقالوا: لا، فقال: اللهم اجعل الأمر أمر جاهلية، والملك ملك غاصبية، واجعل أوتاد الأرض لبني أمية، قال ابن سعد في إسلامه: لما رأى الناس يطؤون عقب رسول الله صلى الله عليه وآله حسده، فقال في نفسه: لو عاودت الجمع لهذا الرجل، فضرب رسول الله في صدره ثم قال: (إذا يخزيك الله) وفي رواية: قال في نفسه: ما أدري لم يغلبنا محمد ؟ فضرب في ظهره وقال: بالله يغلبك)[٢]،وقال ابن حجر: (أبو سفيان شخصية مريضة قلقة تحن إلى الماضي، فتعصبه لبني أمية، كما ترى في نص ابن عساكر يهجو النبي صلى الله عليه وآله)[٣]، تراه يخاطب نفسه: (لو عاودت الجمع لهذا الرجل) يريد محاربة النبي من جديد ! (ولهذا الرجل) وكأنه ليس نبيا ! (ولم يغلبنا محمد) يسميه باسمه دون إضافة رسول الله أو حبيب الله التي اعتاد عليها المسلمون، وهي عبارات سادة قريش التي كانوا يلوكونها بين أشداقهم، تلك هي التي يرددها أبو سفيان، فهو أبو سفيان القديم ! انطوت نفسه كما يصرح هو على ما كان يحمله في الماضي!).[٤]

---

(١) **انظر**: الغدير: الاميني :٢٧٨/٨.

(٢) تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر:٤٧١/٢٣.

(٣) الإصابة: ابن حجر:١٧٩/٢.

(٤) مستدرك الحاكم:٤٨٨/٣،ح ٦٠٦٥.

فضيلة مفتعلة

أخرج ابن عساكر في تأريخه عن ابن عباس مرفوعا من حديث طويل يذكر فيه فضائل بعض الصحابة: (ومن مثل أبي سفيان؟ لم يزل الدين به مؤيدا قبل أن يسلم وبعدما أسلم، ومن مثل أبي سفيان إذا أقبلت من عند ذي العرش أريد الحساب، فإذا أنا بأبي سفيان معه كأس من ياقوتة حمراء يقول: اشرب يا خليلي، أعار بأبي سفيان، وله الرضا بعد الرضا)[1].

قال الأميني: (لقد أعرب عن بعض الحقيقة الحافظ ابن عساكر نفسه بقوله: هذا حديث منكر) أي منكر هذا يعد أبا سفيان ممن لم يزل الدين به مؤيدا قبل إسلامه وبعده ؟ فكأنه غير رأس المشركين يوم أحد، وغير مجهز جيش الأحزاب والمجلب على رسول الله ﷺ والرافع عقيرته وهو يرتجز بقوله : (أعل هبل، أعل هبل. فقال رسول الله ﷺ: ألا تجيبونه ؟ قالوا: يا رسول الله ما نقول ؟ قال: قولوا: الله أعلى وأجل، فقال أبو سفيان إن لنا العزّى ولا عزّى لكم، فقال رسول الله: ألا تجيبونه؟ فقالوا: يا رسول الله ما نقول ؟ قال: قولوا: الله مولانا

(١) تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر:٢٣/ ٤٦٤.

ولا مولى لكم)[١]، وكأنه ليس من أئمة الكفر الذين نزل فيهم قوله تعالى: ﴿فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾[٢]، وكأنه غير من أريد بقوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ﴾[٣]، أخرج نزوله فيه ابن مردويه من طريق ابن عباس، وعبد بن حميد، وابن جرير، وأبو الشيخ من طريق مجاهد، وهؤلاء، وغيرهم من طريق سعيد بن جبير، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ من طريق الحكم بن عتيبة [٤]، وكأنه غير المعنى هو وأصحابه بقوله تعالى :﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ﴾[٥]، وكأنه غير من مشى مع جمع من رجال قريش إلى أبي

---

(١) سيرة ابن هشام: ٣ / ٩٩، تاريخ ابن عساكر: ٢٣ / ٤٤٤ رقم ٢٨٤٩، عيون الأثر: ١ / ٤٢٤، تفسير القرطبي: ٤ / ١٥١.

(٢) انظر: تفسير الطبري: مج ٦ / ج ١٠ / ٨٧، تاريخ ابن عساكر: ٢٣ / ٤٣٨ رقم ٨٤٩، تفسير ابن جزي: ٢ / ٧١، والآية: التوبة/١٣.

(٣) الأنفال/٣٦.

(٤) انظر:تفسير الطبري: مج ٦ / ج ٩ / ٢٤٤، تاريخ ابن عساكر: ٢٣ / ٤٣٨ رقم ٨٤٩، تفسير الرازي: ١٥ / ٣٦٠.

(٥) الأنفال /٣٨.

طالب قائلين له: (إن ابن أخيك قد سب آلهتنا، وعاب ديننا، وسفه أحلامنا، وضلل آباءنا، فإما أن تكفه عنا، وإما أن تخلي بيننا وبينه. إلخ)[١]، وكأنه ليس أحد المجتمعين بدار الندوة الذين تفرقوا على رأي أبي جهل من أن يؤخذ من كل قبيلة شاب فتى جليد نسيب وسط، ثم يعطي كل منهم سيفا صارما فيعمدوا إلى رسول الله فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه[٢]، وكأنه غير من أنفق على المشركين يوم أحد أربعين أوقية، وكل أوقية اثنان وأربعون مثقالا، وكأنه غير من استأجر ألفين من الأحابيش من بني كنانة ليقاتل بهم رسول الله ﷺ سوى من استجاش من العرب[٣]، وكأنه غير من لعنه رسول الله ﷺ يوم أحد في صلاة الصبح بعد الركعة الثانية بقوله: (اللهم العن أبا سفيان، وصفوان بن أمية، والحارث بن هشام)[٤]، وكأنه غير من لعنه رسول

---

(١) سيرة ابن هشام: ٢٨٣/١، ٥٨/٢.

(٢) سيرة ابن هشام: ٢ / ١٢٦.

(٣) تفسير الطبري: مج ٦ / ج ٩ / ٢٤٤، الكشاف: ٢ / ٢١٩، تفسير الرازي: ١٥ / ١٦٠، تفسير الخازن: ٢ / ١٨٤.

(٤) تفسير الطبري: مج ٣ / ج ٤ / ٨٨، وأخرجه الترمذي في جامعه ٥ / ٢١٢ ح ٣٠٠٤ كما في نيل الأوطار للشوكاني: ٢ / ٣٨٩، وفي التفسير ٤ / ١٦٦١ ح ٤٢٨٣ بلفظ: فلانا وفلانا ولم يسم أحدا تحفظا على كرامة أبي سفيان وشاكلته.

الله في سبعة مواطن، لا يتأتى لأي أحد ردها :

أولها: يوم لقي رسول الله ﷺ خارجاً من مكة إلى الطائف يدعو ثقيفا إلى الدين، فوقع به وسبه وشتمه، وكذبه وتوعده وهم أن يبطش به، فلعنه الله ورسوله وصرف عنه.

الثانية: يوم العير: إذ عرض لها رسول الله ﷺ وهي جائية من الشام، فطردها أبو سفيان وساحل بها، فلم يظفر المسلمون بها ولعنه رسول الله ودعا عليه، فكانت وقعة بدر لأجلها.

الثالثة: يوم أحد: حيث وقف تحت الجبل ورسول الله ﷺ في أعلاه وهو ينادي: أعل هبل، مرارا، فلعنه رسول الله ﷺ عشر مرات، ولعنه المسلمون.

الرابعة: يوم جاء بالأحزاب وغطفان واليهود، فلعنه رسول الله وابتهل.

الخامسة: يوم جاء أبو سفيان في قريش فصدوا رسول الله ﷺ عن المسجد الحرام والهدي معكوفا أن يبلغ محله، ذلك يوم الحديبية، فلعن رسول الله ﷺ أبا سفيان، ولعن القادة والأتباع، وقال: (ملعونون كلهم، وليس فيهم من يؤمن)، فقيل: يا رسول الله أفما يرجى الإسلام لأحد منهم فكيف باللعنة ؟ فقال: (لا تصيب اللعنة أحدا من الأتباع، وأما القادة فلا يفلح منهم أحد)

السادسة: يوم الجمل الأحمر.

السابعة: يوم وقفوا لرسول الله صلى الله عليه وآله في العقبة ليستنفروا ناقته، وكانوا اثني عشر رجلا، منهم أبو سفيان [١]،هذه المواطن السبعة عدها الإمام الحسن السبط عليه السلام[٢]، وكأنه غير من عدا على دور المهاجرين من بني جحش بن رئاب بعدما هاجروا وباعها من عمرو بن علقمة، وقيل فيه :

أبلغ أبا سفيان عن ... أمر عواقبه ندامه
دار ابن عمك بعتها ... تقضي بها عنك الغرامة
وحليفكم بالله رب ... الناس مجتهد القسامة
إذهب بها إذهب بها ... طوقتها طوق الحمامة[٣]

وكأنه غير صاحب البائية يوم أحد يقول فيها :

أقاتلهم وادعي بالغالب ... وأدفعهم عني بركن صليب
فبكي ولا ترعي مقالة عاذل ... ولا تسأمي من عبرة ونجيب

---

(١) شرح ابن أبي الحديد: ٦ / ٢٩٠ - ٢٩١ خطبة ٨٣

(٢) انظر:الغدير:١٠/٨١، تذكرة الخواص: ٢٠٠ - ٢٠١، شرح نهج البلاغة ٦ / ٢٩٠ ـ ٢٩١ خطبه ٨٣، جمهرة خطب العرب: ٢ / ٢٢ رقم ١٨.

(٣) سيرة ابن هشام: ٢ / ١٤٥.

أبـاك وإخوانـا قـد تتـابعوا وحق لهم من عبرة بنصيب[١]

وكأنه غير من كان يضرب في شدق جمزة بن عبد المطلب بزج الرمح قائلا: ذق عقق[٢]، وكأنه غير من داس قبر حمزة برجله وقال: «يا أبا عمارة إن الأمر الذي اجتلدنا عليه بالسيف أمسى في يد غلماننا اليوم يتلعبون به»[٣]، وكأنه غير من قال لما رأى الناس يطؤون عقب رسول الله صلى الله عليه وآله وحسده: (لو عاودت الجمع لهذا الرجل. فضرب رسول الله صلى الله عليه وآله في صدره ثم قال: إذا يخزيك الله)،[٤] وكأنه غير من قال لعثمان يوم تسلم عرش الخلافة: (صارت إليك بعد تيم وعدي فأدرها كالكرة، واجعل أوتادها بني أمية، فإنما هو الملك، ولا أدري ما جنة ولا نار)[٥]، وكأنه غير من دخل على عثمان بعدما عمي وقال: (هاهنا أحد ؟ فقالوا: لا، فقال: اللهم اجعل الأمر أمر جاهلية، والملك ملك غاصبية، واجعل أوتاد الأرض لبني أمية)[٦]، هذا مجمل حال رجال في العهدين الجاهلي والإسلامي أفبمثله أيد الدين قبل إسلامه

---

(١) المصدر السابق:٣/ ٨٠.

(٢) المصدر السابق:٣/٩٩.

(٣) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: ١٦ / ١٣٦، كتاب ٣٢.

(٤) الإصابة: ٢/١٧٩.

(٥) تقدم تخريجه.

(٦) النزاع والتخاصم: المقريزي: ٥٥.

وبعد إسلامه ؟ أو مثله يتولى سقاية رسول الله صلى الله عليه وآله يوم المحشر إذا أقبل من عند ذي العرش، وهل مستوى العرش معبأ لمثل أبي سفيان هذا ونظرائه؟ إذن فعلى العرش ومن بفنائه السلام[١]! قال علي فيه: «**وإن سألت مولانا أمير المؤمنين عن الرجل فعلى الخبير سقطت، قال في حديث له: معاوية طليق ابن طليق، حزب من هذه الأحزاب، لم يزل الله (عز وجل) ولرسوله صلى الله عليه وآله وللمسلمين عدوا هو وأبوه حتى دخلا في الإسلام كارهين**»[٢]، وحسبك ما في كتاب له إلى معاوية بن أبي سفيان من قوله: «**يا ابن صخر يا بن اللعين**»[٣] ولعله عليه السلام يوعز بقوله هذا إلى ما رويناه من أن رسول الله صلى الله عليه وآله لعنه وابنيه معاوية ويزيد لما رآه راكبا ومعاوية يقود ويزيد يسوق فقال صلى الله عليه وآله: «**اللهم العن الراكب والقائد والسائق**»[٤]، ومن كتب له صلى الله عليه وآله إلى معاوية: «**منا النبي، ومنكم المكذب**»، قال ابن أبي الحديد في شرحه يعني أبا سفيان بن حرب، كان عدو رسول الله، والمكذب له، والمجلب عليه. وجاء في كتاب أمير المؤمنين عليه السلام إلى

---

(١) انظر:الغدير:١١٩/١٠.

(٢) تاريخ الطبري: ٨/٥

(٣) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد:٨٢/١٥

(٤) تاريخ الامم والملوك :٥٨/١٠.

محمد بن أبي بكر: «**قد قرأت كتاب الفاجر ابن الفاجر معاوية**»[١]، وقالوا فيه: (ذكر المدائني، عن أبي زكريا العجلاني، عن أبي حازم، عن أبي هريرة قال: حج أبو بكر رضي الله عنه ومعه أبو سفيان بن حرب، فكلم أبو بكر أبا سفيان فرفع صوته، فقال أبو قحافة: اخفض صوتك يا أبا بكر عن ابن حرب، فقال أبو بكر: يا أبا قحافة إن الله بني بالإسلام بيوتا كانت غير مبنية، وهدم به بيوتا كانت في الجاهلية مبنية، وبيت أبي سفيان مما هدم. قال المقريزي بعد إيراده هذه الرواية: فليت شعري بعد هذا بأي وجه يبني بيت أبي سفيان بعد ما هدمه الله تعالى ؟ ! وقال فيه عمرو بن الخطاب مخاطبا رسول الله: أبو سفيان عدوا الله، وقد أمكن الله منه بغير عهد ولا عقد، فدعني يا رسول الله أضرب عنقه! وقال فيه أيضا: إن أبا سفيان لقديم الظلم)[٢]، وقال الإمام الحسن عليه السلام مخاطبا معاوية: «**وأنك يا معاوية وأباك من المؤلفة قلوبهم تسرون الكفر، وتظهرون الإسلام وتستمالون بالأموال**»[٣]! ومن كتاب محمد بن أبي بكر إلى معاوية (وأنت اللعين ابن اللعين)، ويعرفك أبا سفيان قول أبي ذر لمعاوية؛ (لما قال له: يا عدو الله وعدو رسوله .. ما

---

(١) الغدير: ١١٨/١٠.

(٢) الإصابة: ١٨٠/٢.

(٣) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: ٢٨٨/٦-٢٨٩.

أنا بعدو لله ولا لرسوله بل أنت وأبوك عدوان الله ولرسوله، أظهرتهما الإسلام وأبطنتما الكفر)[١]، وتوفي بعد فتح مكة، حيث كان أبو سفيان فيها ثم رحل إلى المدينة وبقي فيها إلى أن مات هناك ودفن بالبقيع، وكانت وفاته سنة إحدى وثلاثين، وعمره ثمان وثمانون سنة، وقيل: توفي سنة اثنتين وثلاثين، وقيل: سنة أربع وثلاثين، وقيل: كان عمره ثلاثا وتسعين سنة[٢].

ثانيا: معاوية بن أبي سفيان

هو معاوية بن صخر بن حرب بن أمية، ولد في سنة ٢٠ قبل الهجرة وأسلم سنة ٨ هـ مكرها تحت بوارق فرسان الإسلام، وعرف هو وأضرابه بـ«الطلقاء». ولاه عمر على الشام، فانتهج لنفسه أسلوبا تحكميا سلطويا، وضرب على وتر الاستقلال منذ نصب واليا عليه، وتساهل معه عمر لأسباب ما[٣]، وفي عهد عثمان، الذي كان يتطلع إلى تسليط

---

(١) انظر:الغدير:٨/٤٤٦-٤٤٧ ، ١٠/١١٩.

(٢) المعارف: ابن قتيبة:٣٤٤.

(٣) ولقد كانت هناك اعتراضات على عمر بن الخطاب في توليته بعض الناس؛ روي أنه لما ولي معاوية الشام قال الناس: ولي معاوية ! فقال لهم: لا تذكروا معاوية إلا بخير؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: اللهم اهد به (البداية والنهاية: ٨ / ١٢٢)، ومن المعروف أن النبي ﷺ كان يدعو لأمته كلها بالهداية ، ومن العجيب أن حديث "

الأمويين على الناس، لم يرعو معاوية عن ظلمه وجوره، وتمرغ في ترفه ونعيمه، بلا وازع من ضمير، ولا رادع من سلطان، وإن إمارته التي استمرت عشرين سنة، وأساليبه في تجهيل الناس وتحميقهم، وبث

اللهم اهد به "حديث ضعيف، إلا أن ابن كثير دافع عنه والتمس له الأعذار، وهذا الموقف لا نجده إذا كان يتعلق بحديث صحيح لمعسكر غير معسكر معاوية. ومن الذين اعترضوا على عملية التوظيف هذه حذيفة (رضي الله عنه)، قال لعمر: إنك تستعين بالرجل الفاجر! فقال عمر: إني لأستعمله لأستعين بقوته، ثم أكون على قفائه (كنز العمال: ٥ / ٧٧١ / ١٤٣٣٨ نقلا عن أبي عبيد)، وكما ذكرنا من قبل إن الله نهى عن اتخاذ بطانة ينتهي طريقها بخروج الحياة الدينية ودخول حياة أخرى تحت أي اسم آخر. والنبي صلى الله عليه وآله كان إذا استعمل أحدا وصاه، وكان يتبرأ من أي عمل لا يصب في وعاء الدين والحياة الدينية، وكان وراء ذلك كله الوحي، وبعد رحيل النبي صلى الله عليه وآله كانت للحياة الدينية سياسة، وهذه السياسة يمكن للباحث أن يكتشفها بسهولة في خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فلقد قيل له: أن يبقي على الأمراء في أول عهده حتى يستتب له الأمر. لكنه أبى إلا أن يعزلهم؛ لأنه علم من النبي صلى الله عليه وآله نهاية الطريق الذي يركبه هؤلاء الأمراء، وما دام الطريق لا يصب في المصب الصحيح فلا بديل لخلعهم، ما هي الفائدة التي ستعود على الدعوة من دهاء معاوية وعمرو والمغيرة؟ وما هي الفائدة التي ستعود على الدعوة من عضلات أبو الأعور وبسر بن أرطأة؟ وما هي الفائدة التي ستعود على الدعوة من وراء كعب الأحبار وأبي زبيدة وتلميذ مسيلمة الكذاب وطلحة بن خويلد؟ قلت الدعوة، ولم أقل ما هي الفائدة التي ستعود على المسلمين، ثم ما هي النتيجة؟ ليس بعد ألف عام، ولكن في القرن الأول فقط، ولقد اتسعت الدائرة بعد ذلك في عهد عثمان بن عفان، فمن الذين ذكرناهم ممن اتسع نفوذهم عما كان عليه في عهد أبي بكر وعمر وزاد عثمان القائمة بآخرين... (معالم الفتن: ١ / ٣٧٠).

الذعر والهلع في نفوسهم، وإبقائهم على جهلهم؛ كل أولئك مهد الأرضية لكل عمل يصب في مصلحته بالشام.

عزم على مناوءة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام منذ توليه الخلافة، وجدّ كثيرا في تحريض طلحة والزبير عليه، وقاد معركة صفين ضد الإمام عليه السلام، وبعد قضية التحكيم أكثر من شن الغارات الوحشية على المناطق الخاضعة لحكومة الإمام عليه السلام، وأفسد في الأرض، وأهلك الحرث والنسل، ثم تمكن من فرض الصلح على الإمام الحسن عليه السلام سنة ٤١ هـ عبر مكيدة خاصة، وضجيج مفتعل، فأحكم قبضته على السلطة بلا منازع، ثم طفق يضطهد شيعة أمير المؤمنين عليه السلام وأنصاره، موغلا في ذلك، حتى أن أقرانه وأتباعه لم يطيقوا ممارساته، وإن لقاء المغيرة به، وإخباره عن موقفه العدائي ضد الدين الإسلامي الحنيف يترجمان حقده الدفين، كما يدلان على غاية خسته ودنسه [١]، وقد أفرط في سب الإمام عليه السلام، وعندما طلب منه أن يكف قال: (لا والله، حتى يربو عليه الصغير، ويهرم عليه الكبير، ولا يذكر ذاكر له فضلا!!)[٢] وتستوقفنا المعلومات التي يذكرها ابن أبي الحديد حول

---

(١) مروج الذهب: ٤ / ٤١.

(٢) شرح نهج البلاغة: ٤ / ٥٧، النصائح الكافية: ٩٧ وراجع مروج الذهب: ٣ / ٤١.

طمسه فضائل الإمام، واختلاقه فضائل لنفسه، وسعيه في وضع الحديث، نقلا عن كتاب الأحداث للمدائني[١]، وغيره من الكتب القديمة، والواقع أن كل ما قام به يوائم التفكير القيصري والكسروي، ويبتغي تبديل تعاليم الدين، وتعتبر إمامته للصلاة في المدينة، وتركه البسملة، واحتجاج المهاجرين والأنصار عليه أدلة قاطعة على ما نقول، ومهما يكن فإن معاوية تقمص الخلافة الدينية التي لا يعتقد بها اعتقادا راسخا من أعماق قلبه، وادعى خلافة من قصد قتاله، ولم يتورع عن تشويه الدين، ولم يأبه لتغيير معارف الحق، وأباح لنفسه كل عمل من أجل إحكام قبضته على الأمور، واستمرار تسلطه وتحكمه، و هلك معاوية سنة ٦٠ هـ، ونصب يزيد حاكما على الناس، فخطى بذلك خطوة أخرى نحو قلب الحقائق الدينية، وهو ما اشتهرت آثاره في التاريخ .

عن أحمد بن أعثم الكوفي: (إن معاوية لما حج حجته الأخيرة ارتحل من مكة، فلما صار بالأبواء[٢] ونزلها قام في جوف الليل لقضاء حاجته، فاطلع في بئر الأبواء، فلما اطلع فيها اقشعر جلده، وأصابته

---

(١) شرح نهج البلاغة: ١١ / ٤٤.

(٢) الأبواء: قرية من أعمال الفرع من المدينة، بينها وبين الجحفة ثلاثة وعشرون ميلا (معجم البلدان: ١ / ٧٩).

اللقوة[١] في وجهه، فأصبح وهو لما به مغموم، فدخل عليه الناس يعودونه، فدعوا له وخرجوا من عنده، وجعل معاوية يبكي لما قد نزل به، فقال له مروان بن الحكم: أجزعت يا أمير المؤمنين ؟ فقال: لا يا مروان، ولكني ذكرت ما كنت عنه عزوفا، ثم إني بكيت في إحني[٢]، وما يظهر للناس مني، فأخاف أن يكون عقوبة عجلت لي لما كان من دفعي حق علي بن أبي طالب، وما فعلت بحجر بن عدي وأصحابه، ولولا هواي من يزيد لأبصرت رشدي، وعرفت قصدي)[٣]، وكان معاوية يعزى إلى أربعة: مسافر بن أبي عمرو، وإلى عمارة بن الوليد، وإلى العباس بن عبد المطلب، وإلى الصباح مغن أسود كان لعمارة. قالوا: وكان أبو سفيان دميما، قصيرا، وكان الصباح عسيفا[٤] لأبي سفيان، شابا وسيما، فدعته هند إلى نفسها [٥] وقال الفخري: (كانت أمه هند بنت عتبة شريفة في قريش، أسلمت عام الفتح، وكانت في وقعة أحد لما صرع حمزة بن عبد المطلب (رضي الله عنه) عم رسول الله صلى الله عليه وآله من طعنة الحربة التي طعنها، جاءت هند فمثلت بحمزة،

---

(١) اللقوة: مرض يعرض للوجه، فيميله إلى أحد جانبيه (النهاية: ٤ / ٢٦٨).

(٢) الإحن: جمع إحنة ؛ الحقد (النهاية: ١ / ٢٧).

(٣) مقتل الحسين :الخوارزمي: ١ / ١٧٣.

(٤) العسيف: الأجير (مجمع البحرين: ٢ / ١٢١٤).

(٥) ربيع الأبرار: ٣ / ٥٥١، شرح نهج البلاغة: ١ / ٣٣٦ ؛ بحار الأنوار: ٣٣ / ٢٠١ / ٤٨٩.

وأخذت قطعة من كبده فمضغتها حنقا عليه؛ لأنه كان قد قتل رجالا من أقاربها ! فلذلك يقال لمعاوية ابن آكلة الأكباد)[١].

دعاء النبي صلى الله عليه وآله عليه

عن ابن عباس: (سمع رسول الله صلى الله عليه وآله صوت رجلين يغنيان؛ وهما يقولان:

ولا يـزال حـواري يلـوح عظامـه

زوى الحرب عنه أن يجن فيقبرا

فسأل عنهما فقيل: معاوية وعمرو بن العاص، فقال: اللهم اركسهما في الفتنة ركسا، ودعهما إلى النار دعا)[٢]، وعن ابن عباس: (كنت ألعب مع الصبيان فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله، فتواريت خلف باب. قال: فجاء فحطأني حطأة[٣] وقال: اذهب وادع لي معاوية، قال: فجئت

---

(١) الفخري: ١٠٣.

(٢) وقعة صفين: ٢١٩، شرح الأخبار: ٢ / ٥٣٥ / ٤٩٩ كلها عن أبي برزة نحوه وراجع لسان العرب: ٦ / ١٠٠. قال العلامة الأميني (الغدير: ١٠ / ١٤٥): للحديث طرق أربعة صحيحة لا غمز فيها غير أن ابن كثير حببته أمانته أن لا يذكر من طرق الحديث إلا الضعيف كما أن السيوطي راقه أن لا ينضد في سلك لآلئه إلا المزيف، ساكتا عن الأسانيد الصحيحة حفظا لكرامة ابن هند.

(٣) يقال: حطأه، حطأ ؛ إذا دفعه بكفه. وقيل: لا يكون الحطء إلا ضربة بالكف (النهاية: ١ / ٤٠٤).

فقلت: هو يأكل، قال: ثم قال لي: اذهب فادع لي معاوية. قال: فجئت فقلت: هو يأكل. فقال: لا أشبع الله بطنه !).[١]

وقعة صفين

عن علي بن الأقمر قال: (وفدنا على معاوية وقضينا حوائجنا ثم قلنا: لو مررنا برجل قد شهد رسول الله ﷺ وعاينه، فأتينا عبد الله بن عمر فقلنا: يا صاحب رسول الله ﷺ، حدثنا ما شهدت ورأيت، قال: إن هذا أرسل إلي - يعني معاوية - فقال: لئن بلغني أنك تحدث لأضربن عنقك، فجثوت على ركبتي بين يديه، ثم قلت: وددت أن أحد سيف في جندك على عنقي، فقال: والله ما كنت لأقاتلك ولا أقتلك، وأيم الله ما يمنعني أن أحدثكم ما سمعت رسول الله ﷺ قال فيه، رأيت رسول الله ﷺ أرسل إليه يدعوه - وكان يكتب بين يديه - فجاء الرسول فقال: هو يأكل، فقال: لا أشبع الله بطنه فهل ترونه يشبع ؟ قال: وخرج من فج[٢] فنظر رسول الله إلى أبي سفيان وهو راكب ومعاوية وأخوه، أحدهما قائد والآخر سائق، فلما نظر إليهم رسول

---

(١) صحيح مسلم: ٤ / ٢٠١٠ / ٩٦، أسد الغابة: ٥ / ٢٠٢ / ٤٩٤٨، مسند الطيالسي: ٣٥٩ / ٢٧٤٦، دلائل النبوة للبيهقي: ٦ / ٢٤٣ وفي آخره " قال: فما شبع أبدا "، تاريخ الطبري: ١٠ / ٥٨.

(٢) الفج: الطريق الواسع (النهاية: ٣ / ٤١٢).

الله ﷺ قال: اللهم العن القائد والسائق والراكب. قلنا: أنت سمعت رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، وإلا فصمتا أذناي، كما عميتا عيناي)[1]، وكان معاوية لا يشبع بعدها، ووافقته هذه الدعوة في أيام إمارته، فيقال: إنه كان يأكل في اليوم سبع مرات طعاما بلحم، وكان يقول: (والله لا أشبع وإنما أعيى)[2].

أمر النبي بقتله إذا شوهد على منبره

قال رسول الله ﷺ: «**إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه**»[3]، وعنه ﷺ: «**إذا رأيتم معاوية يخطب على منبري فاقتلوه**»[4]، و

---

(١) وقعة صفين: ٢٢٠، بحار الأنوار: ٣٣ / ١٩٠ / ٤٥٨ - ٤٧٤.

(٢) البداية والنهاية: ٦ / ١٦٩. وقال ابن كثير في موضع آخر(البداية والنهاية: ٨ / ١١٩): وقد انتفع معاوية بهذه الدعوة في دنياه وأخراه، أما في دنياه فإنه لما صار إلى الشام أميرا، كان يأكل في اليوم سبع مرات، يجاء بقصعة فيها لحم كثير وبصل فيأكل منها، ويأكل في اليوم سبع أكلات بلحم، ومن الحلوى والفاكهة شيئا كثيرا !.

(٣) تاريخ دمشق: ٥٩ / ١٥٧ كلاهما عن الحسن، سير أعلام النبلاء: ٣ / ١٤٩ وج ٦ / ١٠٥ ؛ وقعة صفين: ٢٢١ كلاهما عن الحسن وص ٢١٦ عن زر بن حبيش وعن عبد الله بن مسعود وزاد في ذيله " قال الحسن: فما فعلوا ولا أفلحوا ".

(٤)وقعة صفين: ٢١٦ عن الحسن وزاد في ذيله " قال أبو سعيد الخدري: فلم نفعل ولم نفلح " ؛ تاريخ دمشق: ٥٩ / ١٥٦ / ١٢٣٣٦ وح ١٢٣٣٧ كلاهما عن أبي سعيد وفيه " فارجموه " بدل " فاقتلوه ".

عنه ﷺ: «**إذا رأيتم معاوية بن أبي سفيان يخطب على منبري فاضربوا عنقه**»[١]، و عن أبي سعيد الخدري: (إن رجلا من الأنصار أراد قتل معاوية، فقلنا له: لا تسل السيف في عهد عمر حتى نكتب إليه قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا رأيتم معاوية يخطب على الأعواد فاقتلوه ، قالوا: ونحن سمعناه ولكن لا نفعل حتى نكتب إلى عمر، فكتبوا إليه فلم يأتهم جواب الكتاب حتى مات)[٢].

وصية والديه

عن علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف: (قال أبو سفيان - لمعاوية -: يا بني، إن هؤلاء الرهط من المهاجرين سبقونا وتأخرنا، فرفعهم سبقهم وقدمهم عند الله وعند رسوله، وقصر بنا تأخيرنا، فصاروا قادة وسادة، وصرنا أتباعا، وقد ولوك جسيما من أمورهم فلا تخالفهم؛ فإنك تجري إلى أمد، فنافس فإن بلغته أورثته عقبك، فلم يزل معاوية نائبا على الشام في الدولة العمرية والعثمانية مدة خلافة

---

(١)وقعة صفين: ٢١٦ عن عبد الله بن مسعود.

(٢)تهذيب التهذيب: ١ / ٩٤ / ٦٦، خصائص أمير المؤمنين للنسائي: ١١ وفيه من " قيل له... " وراجع تهذيب الكمال: ١ / ٣٣٨ / ٤٨ ، أنساب الأشراف: ٥ / ١٣٦.

عثمان)[١]، وعن علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف: قالت هند لمعاوية فيما كتبت به إليه: (والله يا بني إنه قل أن تلد حرة مثلك، وإن هذا الرجل ـ أي عمر بن الخطاب ـ قد استنهضك في هذا الأمر، فاعمل بطاعته فيما أحببت وكرهت).[٢]

عمر بن الخطاب ومعاوية

عن الزهري: ذكر معاوية عند عمر بن الخطاب فقال: دعوا فتى قريش وابن سيدها؛ إنه لمن يضحك في الغضب، ولا ينال منه إلا على الرضا، ومن لا يؤخذ من فوق رأسه إلا من تحت قدميه[٣]، وعن أبي محمد الأموي: خرج عمر بن الخطاب إلى الشام، فرأى معاوية في موكب يتلقاه، وراح إليه في موكب، فقال له عمر: يا معاوية ! تروح في موكب وتغدو في مثله، وبلغني أنك تصبح في منزلك وذوو

---

(١) تاريخ دمشق: ٥٩ / ١٥٧ كلاهما عن الحسن، سير أعلام النبلاء: ٣ / ١٤٩ وج ٦ / ١٠٥؛ وقعة صفين: ٢٢١ كلاهما عن الحسن وص ٢١٦ عن زر بن حبيش وعن عبد الله بن مسعود وزاد في ذيله " قال الحسن: فما فعلوا ولا أفلحوا " ، البداية والنهاية: ٨ / ١١٨.

(٢) وقعة صفين: ٢١٦ عن الحسن وزاد في ذيله " قال أبو سعيد الخدري: فلم نفعل ولم نفلح " ؛ تاريخ دمشق: ٥٩ / ١٥٦ / ١٢٣٣٦ وح ١٢٣٣٧ كلاهما عن أبي سعيد وفيه " فارجموه " بدل " فاقتلوه " ،البداية والنهاية: ٨ / ١١٨.

(٣) البداية والنهاية: ٨ / ١٢٤.

الحاجات ببابك ! قال: يا أمير المؤمنين إن العدو بها قريب منا ولهم عيون وجواسيس، فأردت يا أمير المؤمنين أن يروا للإسلام عزا، فقال له عمر: إن هذا لكيد رجل لبيب أو خدعة رجل أريب، فقال معاوية يا أمير المؤمنبن مرني بما شئت أصر إليه، قال: ويحك ! ما ناظرتك في أمر أعيب عليك فيه إلا تركتني ما أدري آمرك أم أنهاك !(١)، وفي سير أعلام النبلاء: (لما قدم عمر الشام، تلقاه معاوية في موكب عظيم وهيئة، فلما دنا منه، قال: أنت صاحب الموكب العظيم ؟ قال: نعم. قال: مع ما بلغني عنك من طول وقوف ذوي الحاجات ببابك ؟ قال: نعم. قال: ولم تفعل ذلك ؟ قال: نحن بأرض جواسيس العدو بها كثير، فيجب أن نظهر من عز السلطان ما يرهبهم، فإن نهيتني انتهيت، قال: يا معاوية ! ما أسألك عن شيء إلا تركتني في مثل رواجب الضرس(٢)، لئن كان ما قلت حقا؛ إنه لرأي أريب، وإن كان باطلا؛ فإنه لخدعة أديب. قال: فمرني. قال: لا آمرك ولا أنهاك، فقيل: يا أمير المؤمنين ! ما أحسن ما صدر عما أوردته. قال: لحسن مصادره وموارده جشمناه(٣)

---

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٣١.

(٢) الرواجب: هي ما بين عقد الأصابع من داخل والضرس: الصعب السيئ الخلق (النهاية: ٢ / ١٩٧ وج ٣ / ٨٣).

(٣) يقال: جشمت الأمر وتجشمته: إذا تكلفته (النهاية: ١ / ٢٧٤).

ما جشمناه)[١]، و عن سعيد المقبري: قال عمر بن الخطاب: تذكرون كسرى وقيصر ودهاءهما وعندكم معاوية ! [٢]، وقال عمر بن الخطاب إذ دخل الشام ورأى معاوية: (هذا كسرى العرب).[٣]

خصاله الموبقة

عن الحسن البصري: (أربع خصال كن في معاوية، لو لم يكن فيه منهن إلا واحدة لكانت موبقة: انتزاؤه على هذه الأمة بالسفهاء، حتى ابتزها أمرها بغير مشورة منهم وفيهم بقايا الصحابة وذو الفضيلة، واستخلافه ابنه بعده سكيرا خميرا؛ يلبس الحرير، ويضرب بالطنابير. وادعاؤه زيادا؛ وقد قال رسول الله ﷺ: الولد للفراش، وللعاهر الحجر، وقتله حجرا، ويلا له من حجر ـ مرتين).[٤]

---

(١) سير أعلام النبلاء: ٣ / ١٣٣ / ٢٥، الاستيعاب: ٣ / ٤٧١ / ٢٤٦٤، تاريخ دمشق: ٥٩ / ١١٢، البداية والنهاية: ٨ / ١٢٤ كلها نحوه.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٣٠.

(٣) الاستيعاب: ٣ / ٤٧١ / ٢٤٦٤.

(٤) تاريخ الطبري: ٥ / ٢٧٩، الكامل في التاريخ: ٢ / ٤٩٩ نحوه وفيه " بالسيف " بدل " بالسفهاء " وراجع محاضرات الأدباء: ٤ / ٤٨٣، البداية والنهاية: ٨ / ١٣٠.

هويته عن لسان الإمام علي عليه السلام

وفي وصف الإمام علي عليه السلام لمعاوية قال عليه السلام: «**لم يجعل الله عز وجل له سابقة في الدين، ولا سلف صدق في الإسلام، طليق ابن طليق، حزب من هذه الأحزاب، لم يزل لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وآله وللمسلمين عدوا هو وأبوه حتى دخلا في الإسلام كارهين**»[1]، وعنه عليه السلام في صفة رجل مذموم، ثم في فضله هو عليه السلام: «**أما إنه سيظهر عليكم بعدي رجل رحب البلعوم، مندحق[2] البطن، يأكل ما يجد، ويطلب ما لا يجد، فاقتلوه، ولن تقتلوه ! ألا وإنه سيأمركم بسبي والبراءة مني؛ فأما السب فسبوني؛ فإنه لي زكاة، ولكم نجاة؛ وأما البراءة فلا تتبرؤوا مني؛ فإني ولدت على الفطرة، وسبقت إلى الإيمان والهجرة**»[3]، وعنه عليه السلام في

---

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٨.

(٢) مندحق البطن: أي واسعها، كأن جوانبها قد بعد بعضها من بعض، فاتسعت (النهاية: ٢ / ١٠٥).

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ٥٧، إعلام الورى: ١ / ٣٤٠، شرح المائة كلمة: ٢٣٧ وفي صدره "ما حكم بوقوعه في حق عبيد الله بن زياد أما إنه..."، بحار الأنوار: ٣٩ / ٣٢٥ / ٢٧؛ ينابيع المودة: ١ / ٢٠٥ / ٣.

كتابه إلى معاوية: «فسبحان الله ! ما أشد لزومك للأهواء المبتدعة، والحيرة المتبعة، مع تضييع الحقائق واطراح الوثائق التي هي لله طلبة وعلى عباده حجة» [١]، وعنه عليه السلام: «**والله، لود معاوية أنه ما بقي من هاشم نافخ ضرمة [٢] إلا طعن في نيطه [٣] إطفاء لنور الله، ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [٤]**» [٥].

أهداف معاوية

عن سعيد بن سويد: صلى بنا معاوية في النخيلة [٦] الجمعة في

---

(١) نهج البلاغة: الكتاب ٣٧، الاحتجاج: ١ / ٤٢٨ / ٩٢، بحار الأنوار: ٣٣ / ٩٨ / ٤٠٣ وفيهما " تضييع " بدل " تضييق ".

(٢) الضرمة: النار، وهذا يقال عند المبالغة في الهلاك ؛ لأن الكبير والصغير ينفخان النار (النهاية: ٣ / ٨٦).

(٣) أي إلا مات. يقال: طعن في نيطه، وفي جنازته ؛ إذا مات (النهاية: ٥ / ١٤١). (٣) التوبة: ٣٢.

(٤) عيون الأخبار لابن قتيبة: ١ / ١٨٠، النهاية في غريب الحديث: ٥ / ٩٠ وفيه إلى " ضرمة "، شرح نهج البلاغة: ١٩ / ١٢٩ وفيه إلى " نيطه " ؛ تفسير العياشي: ٢ / ٨١ / ٣٠ عن أبي الأعز التميمي.

(٥) التوبة / ٣٢.

(٦) النخيلة: موضع قرب الكوفة على سمت الشام (معجم البلدان: ٥ / ٢٧٨).

الضحى ثم خطب وقال: (ما قاتلنا لتصوموا ولا لتصلوا ولا لتحجوا أو تزكوا، قد عرفت أنكم تفعلون ذلك، ولكن إنما قاتلناكم لأتأمر عليكم، فقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون)[1]، وعن مطرف بن المغيرة بن شعبة قال: (وفدت مع أبي المغيرة إلى معاوية، فكان أبي يأتيه يتحدث عنده، ثم ينصرف إلي فيذكر معاوية، ويذكر عقله، ويعجب مما يرى منه، إذ جاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء، فرأيته مغتما، فانتظرته ساعة، وظننت أنه لشيء حدث فينا أو في عملنا، فقلت له: ما لي أراك مغتما منذ الليلة ؟ قال: يا بني، إني جئت من عند أخبث الناس ! قلت له: وما ذاك ؟ قال: قلت له وقد خلوت به: إنك قد بلغت منا يا أمير المؤمنين، فلو أظهرت عدلا، وبسطت خيرا؛ فإنك قد كبرت، ولو نظرت إلى إخوتك من بني هاشم، فوصلت أرحامهم؛ فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه، فقال لي: هيهات هيهات ! ! ملك أخو تيم فعدل وفعل ما فعل، فوالله ما عدا أن هلك فهلك ذكره، إلا أن يقول قائل: أبو بكر، ثم ملك أخو عدي، فاجتهد وشمر عشر سنين، والله ما عدا أن هلك فهلك ذكره، إلا أن يقول قائل: عمر، ثم ملك أخونا عثمان فملك رجل لم يكن أحد في مثل نسبه، فعمل ما عمل

---

(١) سير أعلام النبلاء: ٣ / ١٤٦ / ٢٥، البداية والنهاية: ٨ / ١٣١ ؛ كشف الغمة: ٢ / ١٦٧.

وعمل به، فوالله ما عدا أن هلك فهلك ذكره، وذكر ما فعل به، وإن أخا هاشم يصرخ به في كل يوم خمس مرات: أشهد أن محمدا رسول الله، فأي عمل يبقى مع هذا ؟ لا أم لك، والله ألا دفنا دفنا)[1].

كتاب الإمام الحسين عليه السلام إليه

وجاء في كتاب الإمام الحسين عليه السلام[2] إلى معاوية: أما بعد: «**فقد جاءني كتابك تذكر فيه أنه انتهت إليك عني أمور لم تكن تظنني بها رغبة بي عنها، وإن الحسنات لا يهدي لها، ولا يسدد إليها إلا الله تعالى، وأما ما ذكرت أنه رقي إليك عني، فإنما رقاه الملاقون المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الجمع، وكذب الغاوون المارقون، ما أردت حربا ولا خلافا، وإني لأخشى الله في ترك ذلك منك ومن حزبك القاسطين المحلين، حزب**

---

(١) مروج الذهب: ٤ / ٤١، الأخبار الموفقيات: ٥٧٦ / ٣٧٥، شرح نهج البلاغة: ٥ / ١٢٩؛ كشف اليقين: ٤٦٦ / ٥٦٥.

(٢) كتب معاوية إلى الإمام الحسين عليه السلام: أما بعد، فقد انتهت الي منك أمور، لم أكن أظنك بها رغبة عنها، وإن أحق الناس بالوفا لمن اعطى بيعة من كان مثلك، في خطرك وشرفك ومنزلتك التي أنزلك الله بها، فلا تنازع إلى قطيعتك، واتق الله ولا تردن هذه الأمة في فتنة وانظر لنفسك ودينك وأمة محمد، ولا يستخفنك الذين لا يوقنون (الإمامة والسياسة: ١ / ٢٠١).

الظالم، وأعوان الشيطان الرجيم. ألست قاتل حجر وأصحابه العابدين المخبتين الذين كانوا يستفظعون البدع، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر ؟ فقتلتهم ظلما وعدوانا من بعد ما أعطيتهم المواثيق الغليظة، والعهود المؤكدة، جرأة على الله، واستخفافا بعهده ؟ أولست بقاتل عمرو بن الحمق الذي أخلقت وأبلت وجهه العبادة ؟ فقتلته من بعدما أعطيته من العهود ما لو فهمته العصم[1] نزلت من شعف[2] الجبال. أولست المدعي زيادا في الإسلام، فزعمت أنه ابن أبي سفيان، وقد قضى رسول الله صلى الله عليه وآله أن الولد للفراش وللعاهر الحجر؟ ثم سلطته على أهل الإسلام يقتلهم ويقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، ويصلبهم على جذوع النخل، سبحان الله يا معاوية ! لكأنك لست من هذه الأمة، وليسوا منك، أولست قاتل الحضرمي الذي كتب إليك فيه زياد أنه على دين علي كرم الله وجهه، ودين علي هو دين ابن عمه صلى الله عليه وآله الذي أجلسك مجلسك الذي أنت فيه، ولولا ذلك كان أفضل شرفك وشرف آبائك تجشم الرحلتين: رحلة الشتاء والصيف، فوضعها الله عنكم بنا منة عليكم. وقلت فيما قلت: لا ترد هذه الأمة في فتنة. وإني لا أعلم لها فتنة أعظم من

---

(١) العصم: الوعول (لسان العرب: ١٢ / ٤٠٦).

(٢) جمع شعفة ؛ وهي من كل شيء أعلاه (النهاية: ٢ / ٤٨١).

إمارتك عليها. وقلت فيما قلت: انظر لنفسك ولدينك ولأمة محمد. وإني والله ما أعرف أفضل من جهادك؛ فإن أفعل فإنه قربة إلى ربي، وإن لم أفعله فأستغفر الله لديني، وأسأله التوفيق لما يحب ويرضى. وقلت فيما قلت: متى تكدني أكدك. فكدني يا معاوية ما بدا لك، فلعمري لقديما يكاد الصالحون، وإني لأرجو أن لا تضر إلا نفسك، ولا تمحق إلا عملك، فكدني ما بدا لك. واتق الله يا معاوية ! واعلم أن لله كتابا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، واعلم أن الله ليس بناس لك قتلك بالظنة، وأخذك بالتهمة، وإمارتك صبيا يشرب الشراب، ويلعب بالكلاب، ما أراك إلا قد أوبقت نفسك، وأهلكت دينك، وأضعت الرعية، والسلام».[1]

ثالثا :يزيد بن معاوية

هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية، الخليفة، أبو خالد، القرشي، الأموي، الدمشقي، أمة ميسون بنت بحدل الكلبية، جعله أبوه ولي عهده، وأكره الناس على ذلك، قال المقريزي: (عقد له أبوه بولاية العهد من بعده، فتسلم الملك عند موت أبيه في رجب سنة

(١) الإمامة والسياسة: ١ / ٢٠٢ ؛ رجال الكشي: ١ / ٢٥٢ / ٩٩، الاحتجاج: ٢ / ٨٩ / ١٦٤ كلاهما نحوه، بحار الأنوار: ٤٤ / ٢١٢ / ٩.

ستين، وله ثلاث وثلاثون سنة، فكانت دولته أقل من أربع سنين، ويزيد ممن لا نسبه ولا نحبه، وله نظراء من خلفاء الدولتين، وكذلك في ملوك النواحي، بل فيهم من هو شر منه، وإنما عظم الخطب لكونه ولي بعد وفاة النبي ﷺ بتسع وأربعون سنة، والعهد قريب، والصحابة موجودون، كابن عمر رضي الله تبارك وتعالى عنهما، الذي كان أولى بالأمر منه، ومن أبيه، وجده. قال الحسن البصري: أفسد أمر الناس اثنان: عمرو بن العاص يوم أشار على معاوية برفع المصاحف فحملت، ونال من القراء، فحكم الخوارج، فلا يزال هذا التحكيم إلى يوم القيامة. والمغيرة بن شعبة، فإنه كان عامل معاوية على الكوفة، فكتب إليه معاوية: إذا قرأت كتابي فأقبل معزولا، فأبطأ عنه، فلما ورد عليه قال: ما أبطأ بك ؟ قال: أمر كنت أوطئه وأهيئه، قال: وما هو ؟ قال: البيعة ليزيد من بعدك، قال: أو قد فعلت ؟ قال: نعم، قال: ارجع إلى عملك، فلما خرج قال له أصحابه: ما وراءك ؟ قال: وضعت رجل معاوية في غرز غي لا يزال فيه إلى يوم القيامة. قال الحسن: فمن أجل ذلك بايع هؤلاء لأبنائهم، ولولا ذلك لكانت شورى إلى يوم القيامة، توفي يزيد في نصف ربيع الأول سنة أربع وستين)[1]، وقال الكتبي:

---

(١) إمتاع الأسماع ، المقريزي ، ١٢ ، هامش ص ٢٧٠،تهذيب سير الأعلام : ١ / ١٢٨، ترجمة رقم (٣٨٩)، تاريخ الخلفاء : ١٦٤ - ١٦٨ مختصرا.

(ولم يبارك الله تعالى في عمره سئل أليكا الهراسي عن يزيد بن معاوية فقال إنه لم يكن من الصحابة لأنه ولد في زمن عمر بن الخطاب وأما قول السلف ففيه قولان تلويح وتصريح ولنا قول واحد التصريح دون التلويح وكيف لا يكون كذلك وهو اللاعب بالشطرنج والنرد والمتصيد بالفهود ومدمن الخمر قيل إن معاوية في بعض الليالي أنهى إليه أن يزيد ولده يشرب فأتى إليه ليوقع به فوجده يقول :

إلا إن أهنا العيش ما سمحت به

صروف الليالي والحوادث نوم

فقال معاوية والله لا كنت عليه في هذه الليلة من الحوادث ثم رجع من حيث أتى)[1].

وسيأتي ذكر سيرته وما فعله بأهل البيت عليهم السلام وشيعتهم من القتل والسبي والاضطهاد وغير ذلك.

رابعاً: الحكم بن أبي العاص

هو الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، القرشي الأموي، أبو مروان بن الحكم، يعد في أهل الحجاز، عم

(١) فوات الوفيات: الكتبي: ٢ / ٦٤١.

عثمان بن عفان[١] لم يصلنا عنه أية رواية، وكان الحكم ممن حارب الله ورسوله، ووقف في وجه الدعوة الإسلامية مع بقية زعماء قريش.

الحكم يتآمر لاغتيال النبي صلى الله عليه وآله

عن قيس بن جبير قال قالت بنت الحكم قلت لجدي الحكم (ما رأيت قوما كانوا أعجز ولا أسوأ في أمر رسول الله صلى الله عليه وآله منكم يا بني أمية قال لا تلومينا يا بنية إني لا أحدثك إلا ما رأيت بعيني هاتين قلنا والله ما نزال نسمع قريشا تعلي هذا الصابئ في مسجدنا تواعدوا له حتى نأخذه فتواعدنا إليه فلما رأيناه سمعنا صوتا ظننا أنه ما بقي بتهامة جبل إلا تفتت علينا فما عقلنا حتى قضى صلاته ورجع إلى أهله ثم تواعدنا ليلة أخرى فلما جاء نهضنا إليه فرأيت الصفا والمروة التقتا إحداهما بالأخرى فحالتا بيننا وبينه فوالله ما نفعنا ذلك)[٢].

نفيه عن المدينة

بعد أن تم الأمر للمسلمين وفتحوا مكة لم يكن أمام الحكم خيار

---

(١) أسد الغابة: ابن الاثير:٣٣/٢، الإصابة:٩١/٢.

(٢) المعجم الكبير: الطبراني: ٣ / ٢١٣، كنز العمال: المتقي الهندي: ١٢ / ٣٧٧، أسد الغابة: ٢ / ٣٣.

إلا أن يتظاهر بالإسلام، لينجو بنفسه، ومع أن رسول الله ﷺ عفا عن الحكم وأمثاله وسماهم الطلقاء، إلا أن الحكم تمادي في غيه وعض اليد التي مدت له كما سيأتيك، وقد سكن المدينة ثم نفاه النبي ﷺ إلى الطائف، والسبب في نفيه، قال أبو عمر: (أخرج رسول الله ﷺ الحكم من المدينة وطرده عنها فنزل الطائف وخرج معه ابنه مروان، واختلف في السبب الموجب لنفي رسول الله ﷺ إياه فقيل: كان يتحيل ويستخفي ويتسمع ما يسره رسول الله ﷺ إلى كبار أصحابه في مشركي قريش وسائر الكفار والمنافقين، فكان يفشي ذلك عنه حتى ظهور ذلك عليه، وكان يحكيه في مشيته وبعض حركاته، إلى أمور غيرها كرهت ذكرها، ذكروا: أن النبي ﷺ كان إذا مشى يتكفأ وكان الحكم يحكيه، فالتفت النبي ﷺ يوما فرآه يفعل ذلك فقال ﷺ: «فكذلك فلتكن»، فكان الحكم مختلجا يرتعش من يومئذ، فعيره عبد الرحمن بن حسان بن ثابت فقال في عبد الرحمن بن الحكم يهجوه: إن اللعين أبوك فارم عظامه إن ترم ترم مخلجا مجنونا يمسي خميص البطن من عمل التقى ويظل من عمل الخبيث بطينا).[1]

---

(١) انظر: أسد الغابة: ٢ / ٣٣، سير أعلام النبلاء: الذهبي:١٠٨/٢، الإصابة:٩١/٢، النزاع والتخاصم: هامش/٢١.

تحذير النبي ﷺ منه ولعنه

كان النبي يحذر المسلمين من الشجرة الأموية الخبيثة الملعونة فحذر فيما حذر من بيت الحكم، روى ابن الأثير بسنده إلى نافع بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: كنا مع النبي ﷺ فمر الحكم بن أبي العاص، فقال النبي ﷺ: «**ويل لأمتي مما في صلب هذا**»[١] وقال ﷺ في الحكم: «**كأني أنظر إلى بنيه يصعدون منبري وينزلونه**»[٢] وقد لعنه النبي وما في صلبه كما سنوافيك مؤذنا بخطر هذا البيت وما يجره على المسلمين من ويلات، وكان الحكم أحد جيران رسول الله ﷺ بمكة، ومن أولئك الأشداء عليه ﷺ المبالغين في إيذائه شاكلة أبي لهب كما في حديث عبد الرحمن بن أبي بكر قال : (كان الحكم يجلس عند النبي ﷺ فإذا تكلم اختلج، فبصر به النبي ﷺ فقال: كن كذلك فما زال يختلج حتى مات)[٣]، وفي لفظ مالك بن دينار: (مر النبي ﷺ بالحكم فجعل الحكم يغمز النبي ﷺ

---

(١) السيرة الحلبية: ١ / ٣١٧، كنز العمال: ٦ / ٤٠ ح٣١٠٦٦، أسد الغابة: ٢ / ٣٧، الإصابة:٣٤٦/١.

(٢) الإصابة: ٣٤٦/١.

(٣) السيرة النبوية: ٥٧/٢ ، المعجم الكبير، الطبراني:٢١٤/٣، ح٣١٦٧.

بإصبعه فالتفت فرآه فقال: اللهم اجعل به وزغا فرجف مكانه وارتعش، وزاد الحلبي: بعد أن مكث شهرا مغشيا عليه)[١] روى البلاذري في الأنساب: (إن الحكم بن أبي العاص كان جارا لرسول الله ﷺ في الجاهلية وكان أشد جيرانه أذي له في الإسلام، وكان قدومه المدينة بعد فتح مكة وكان مغموصا عليه في دينه، فكان يمر خلف رسول الله ﷺ فيغمز به ويحكيه ويخلج بأنفه وفمه، وإذا صلى قام خلفه فأشار بأصابعه، فبقي على تخليجه وأصابته خبلة، واطلع على رسول الله ﷺ ذات يوم وهو في بعض حجر نسائه فعرفه وخرج إليه بعنزة وقال: من عذيري من هذا الوزغة اللعين؟ ثم قال: لا يساكنني ولا ولده فغربهم جميعا إلى الطائف، فلما قبض رسول الله ﷺ كلم عثمان أبا بكر فيهم وسأله ردهم فأبى ذلك وقال: ما كنت لآوي طرداء رسول الله ﷺ، ثم لما استخلف عمر كلمه فيهم فقال مثل قول أبي بكر، فلما استخلف عثمان أدخلهم المدينة وقال: قد كنت كلمت رسول الله فيهم وسألته ردهم فوعدني أن يأذن لهم فقبض قبل ذلك، فأنكر المسلمون عليه إدخاله إياهم المدينة)[٢]، وعن سعيد بن المسيب قال: (خطب

---

(١) الإصابة: ١/ ٣٤٥ ،السيرة الحلبية:٣١٧/١.

(٢) انساب الأشراف: ٥/ ٢٧.

عثمان فأمر بذبح الحمام وقال: إن الحمام قد كثر في بيوتكم حتى كثر الرمي ونالنا بعضه، فقال الناس: يأمر بذبح الحمام وقد آوي طرداء رسول الله)[١]، وبالإسناد عن عمرو بن مرة قال: استأذن الحكم على رسول الله ﷺ فعرف صوته فقال: (ائذنوا له لعنة الله عليه وعلى من يخرج من صلبه إلا المؤمنين وقليل ما هو، ذوو مكر وخديعة يعطون الدنيا وما لهم في الآخرة من خلاق)[٢]،وفي لفظ ابن حجر في تطهير الجنان هامش الصواعق: (ائذنوا له فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين وما يخرج من صلبه يشرفون في الدنيا، ويترذلون في الآخرة، ذوو مكر وخديعة إلا الصالحين منهم وقليل ما هم) [٣]، وأخرج الحاكم في المستدرك وصححه من طريق عبد الله بن الزبير قال: إن رسول الله ﷺ لعن الحكم وولده[٤]، وأخرج الطبراني وابن عساكر والدار قطني في الأفراد من طريق عبد الله بن عمر قال: (هجرت الرواح إلى رسول الله ﷺ فجاء أبو الحسن فقال له رسول الله ﷺ: ادن،

---

(١) المصدر السابق: ١٢٥.

(٢) السيرة الحلبية:٣١٧/١.

(٣) الصواعق: ابن حجر:١٨١، كنز العمال: ١١ / ٣٥٧ ح٣١٧٢٩، تاريخ دمشق ،ابن عساكر:١٩١/٢٤.

(٤) المستدرك:الحاكم النيسابوري:٥٢٨/٤ ـ ٥٢٩، ح٨٤٨٥

فلم يزل يدنيه حتى التقم أذنيه، فبينما النبي صلى الله عليه وآله يساره إذ رفع رأسه كالفزع قال: فدع بسيفه الباب فقال لعلي: إذهب فقده كما تقاد الشاة إلى حالبها فإذا علي يدخل الحكم بن أبي العاص آخذا بأذنه ولها زنمة حتى أوقفه بين يدي النبي صلى الله عليه وآله فلعنه نبي الله صلى الله عليه وآله ثلاثا ثم قال: أحله ناحية حتى راح إليه قوم من المهاجرين والأنصار ثم دعا به فلعنه ثم قال: إن هذا سيخالف كتاب الله وسنة نبيه، وسيخرج من صلبه فتن يبلغ دخانها السماء، فقال ناس من القوم: هو أقل وأذل من أن يكون هذا منه قال: بلى وبعضكم يومئذ شيعته)[1]، وأخرج ابن عساكر من طريق عبد الله بن الزبير، قال وهو على المنبر: (ورب هذا البيت الحرام والبلد الحرام إن الحكم بن أبي العاص وولده ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وآله وفي لفظ: إنه قال وهو يطوف بالكعبة: ورب هذه البنية للعن رسول الله صلى الله عليه وآله الحكم وما ولد)[2].

خامسا: مروان بن الحكم

هو مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي، يكنى أبا عبد الملك، وهو ابن عم عثمان بن

(١) كنز العمال: ١١ / ١٦٥، ح ٣١٠٦٠.

(٢) المصدر السابق: ٣٥٧، ح ٣١٧٣٢.

عفان بن أبي العاص وكاتبه في خلافته ولم يصلنا عنه حديث[١]، أما ولادته، أن الصحيح في ولادة مروان بعد فتح مكة لثبوت الرواية التي تقول (كان لا يولد لأحد بالمدينة ولد إلا أتي به إلى النبي ﷺ فدعا له فأدخل عليه مروان. . .)[٢]، فمروان ولد في المدينة وأبوه وأمه لم يهاجرا بل بقيا على شركهما، بعد فتح مكة سكنا المدينة فولد مروان هناك والله أعلم.

اللعن والمنفى

لعن النبي ﷺ مروان صغيراً كما روي عن عبد الرحمن ابن عوف أنه قال: (كان لا يولد لأحد بالمدينة ولد إلا أتي به إلى النبي ﷺ فدعا له، فأدخل عليه مروان بن الحكم عند ولادته فقال: هو الوزغ ابن الوزغ، الملعون ابن الملعون)[٣]، ولعل معاوية أشار إليه بقوله لمروان: (يا بن الوزغ لست هناك)[٤]، وبقي مروان مع أبيه في المنفى قرابة أربعة عشر عاما، وعاد مع أبيه بعد أن ردهما عثمان خلافا لفعل النبي

---

(١) الإصابة: ٤٧٧/٣ ، أسد الغابة: ابن الأثير: ١٤٤/٥.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المستدرك: الحاكم :٥٢٦/٤ ،ح٨٤٧٧

(٤) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: ١٥٥/٦،خ٧٢.

والشيخين، فعينه عثمان كاتبا في خلافته وزوجه ابنته أم أبان، فماذا كان بعد ذلك؟ حيث أعطى عثمان مروان بن الحكم بن أبي العاص ابن عمه وصهره من ابنته أم أبان خمس غنائم إفريقية وهو خمسمائة ألف دينار، وفي ذلك يقول عبد الرحمن بن حنبل الجمحي الكندي مخاطبا الخليفة :

أحلف بالله رب الأنام ... ما ترك الله أمرا سدى
ولكن خلقت لنا فتنة ... لكي نبتلي بك أو تبتلى
فإن الأمينين قد بينا ... منار الطريق عليه الهدى
فما أخذا درهما غيلة ... وما جعلا درهما في الهوى
دعوت اللعين فأدنيته ... خلافا لسنة من قد مضى
وأعطيت مروان خمس ... فهيهات شأوك ممن سعى

هكذا رواه ابن قتيبة في المعارف[1]، وذكر البلاذري الأبيات في الأنساب[2] ونسبها إلى أسلم بن أوس بن بجرة الساعدي الخزرجي الذي منع أن يدفن عثمان بالبقيع، وإليك لفظها :

أقسم بالله رب العباد ... ما ترك الله خلقا سدى

---

(١) المعارف:١٩٥.

(٢) انساب الأشراف: البلاذري:٣٨/٥.

دعـــوت اللعـــين فأدنيتـــه خلافـا لـسنة مـن قـد مـضى

قال: يعني الحكم والد مروان .

وأعطيت مروان خمس العباد ظلمـا لهـم وحميـت الحمـى

ومـــال أتـــاك بـــه الأشـــعري مـــن الفـــئ أنهيتـــه مـــن تـــرى

فأمـــا الأمينـــان إذ بينـــا منـار الطريـق عليـه الـصوى

فلـــم يأخـــذا درهمـــا غيلـــة ولم يصرفا درهما فـي هـوى

وروى البلاذري عن طريق عبد الله بن الزبير أنه قال: «أغزانا عثمان سنة سبع وعشرين إفريقية فأصاب عبد الله بن سعد بن أبي سرح غنائم جليلة فأعطى عثمان مروان بن الحكم خمس الغنائم، وفي رواية أبي مخنف: (فابتاع الخمس بمائتي ألف دينار فكلم عثمان فوهبها له فأنكر الناس ذلك على عثمان)،[1] وقول عائشة لمروان: (لعن رسول الله صلى الله عليه وآله أباك فأنت فضض من لعنة الله)، وأخرج ابن النجيب من طريق جبير بن مطعم قال: (كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله فمر الحكم بن أبي العاص فقال النبي صلى الله عليه وآله: «**ويل لأمتي مما في صلب هذا**»[2]، وفي شرح ابن أبي الحديد: نظر علي عليه السلام يوما إلى مروان فقال له: «**ويل لك وويل**

---

(١) المصدر السابق.

(٢) الإصابة: ٣٤٦/٣، أسد الغابة: ابن الأثير: ٢٧/٢.

لأمته محمد منك ومن بيتك إذا شاب صدغاك»[١]، وفي لفظ ابن الأثير: «ويلك وويل أمة محمد منك ومن بنيك»[٢]، ورواه ابن عساكر بلفظ آخر كما في كنز العمال، وقال مولانا أمير المؤمنين يوم قال له الحسنان السبطان: «**يبايعك مروان يا أمير المؤمنين: أولم يبايعني بعد قتل عثمان ؟ لا حاجة لي في بيعته، إنها كف يهودية لو بايعني بيده لغدر بسبته، أما إن له إمرة كلعقة الكلب أنفه، وهو أبو الأكبش الأربعة وستلقى الأمة منه ومن ولده يوما أحمر**».[٣]

مروان بعد مقتل عثمان

بعد مقتل عثمان قرر ابن الحكم المطالبة بدمه، ولم يرضه أن تكون الخلافة بيد آل أبي طالب لذلك كان من أول المحرضين عليهم، فانضم إلى جيش عائشة ضد الإمام علي عليه السلام،وفيها قتل طلحة وكان طلحة بن عبيد الله من الثائرين ضد عثمان لذلك أخذ ابن الحكم

---

(١) أسد الغابة: ابن الأثير: ٣٨٤/٤، كنز العمال:٩١/٦، شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد:٥٣/٢.

(٢) أسد الغابة: ابن الأثير:١٤٥/٥.

(٣) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد:١٠٢/٦،خ٧٢.

ثأره منه يوم الجمل [١]، أخرج ابن عساكر، قال: كان مروان بن الحكم في الجيش يوم الجمل فقال: لا أطلب بثأري بعد اليوم، فهو الذي رمى طلحة فقتله، ثم قال لأبان بن عثمان :«قد كفيتك بعض قتلة أبيك، وكان السهم قد وقع في عين ركبته، فكانوا إذا أمسكوها انتفخت وإذا أرسلوها انبعثت، فقال: دعوها فإنها سهم أرسله الله»[٢]، قال أبو عمر في الإستيعاب:«لا يختلف العلماء الثقات في أن مروان قتل طلحة يومئذ وكان في حزبه».[٣]

عداء مروان لآل البيت

قد مر علينا كيف كان الحكم والد مروان يستهزئ بالنبي صلى الله عليه وآله ويؤذيه، ويبدو أن الأبن اكتسب الخبث والرذيلة من والده أثناء إقامته في الطائف وسار على نهجه، فلما عاد إلى المدينة كان النبي صلى الله عليه وآله بجوار ربه فنظر في بقيته فلم يجد إلا آل بيته، وعلى رأسهم الإمام علي والحسن والحسين عليهم السلام، فكن لهم كل العداء، وأخذ يكيل لهم الشتائم

(١) انساب الأشراف: البلاذري:٢٠١/٦، العقد الفريد:١١٣/٤.

(٢) تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر:١١٢/٢٥-١١٣.

(٣) الإستيعاب: ٧٦٦/٢.

والسباب ولا يفتأ عن سب الإمام علي عليه السلام في كل جمعة وعلى كل منبر وكان كما قال أسامة بن زيد: (فاحشا متفحشا)[١]، والحجر الأساسي في ذلك هو عثمان جرأ الوزغ اللعين على أمير المؤمنين يوم قال له: «**أقد مروان من نفسك، قال عليه السلام: مم ذا؟ قال: من شتمه وجذب راحلته، وقال له: لم لا يشتمك ؟ كأنك خير منه!**»[٢] وعلاه معاوية بكل ما عنده من حول وطول، لكن مروان تبعه شر متابعة، ولم يأل جهدا في تثبيت ذلك كلما أقلته صهوة المنبر، أو وقف على منصة خطابة، ولم يزل مجدا في ذلك، وحاضا عليه حتى عاد مطردا بعد كل جمعة وجماعة في أي حاضرة يتولى أمرها، وبين عماله يوم تولى خلافة هي كلعة الكلب أنفه تسعة أشهر كما وصفها مولانا أمير المؤمنين، ولم تكن هذه السيرة السيئة إلا لسياسة وقتية، وقد أعرب عما في سريرته بقوله، فيما أخرجه الدار قطني من طريقه عنه، قال: ما كان أحد أدفع عن عثمان من علي. فقيل له: ما لكم تسبونه على المنابر ؟ قال: إنه لا يستقيم لنا الأمر إلا بذلك [٣].

---

(١) المصدر السابق:١/٧٧.

(٢) الغدير: ٨/٢٦٤.

(٣) الصواعق المحرقة: ابن حجر: ٣٣.

فهذا تاريخ خلفاء بني أمية الذي يمجدونه ويجعلونه قدوة لهم، وقال سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ * وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ * مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾[1].

(١) الحشر/ ٢ ـ ٥.

الحزن والفرح

لا يخفى أنّه قد قضى العقل والدين باحترام عظماء الرجال أحياءً وأمواتاً وتجديد الذكرى لمن بذل نفسه في أسمى المقاصد وأنفع الغايات وجرت على ذلك جميع الأُمم في كل عصر وزمان وأنّ سيدنا ومولانا الإمام ابن الإمام أخا الإمام أبا الأئمة الحسين بن علي الشهيد ابن أمير المؤمنين عليه السلام ريحانة النبيّ صلى الله عليه وآله وسبطه وخليفته من بعده في أُمّته من أعاظم رجال الإسلام بل من أعاظم رجال الكون فقد جمع إلى شريف نسبه وكريم عنصره وبنوته لسيّد الأنبياء والأوصياء وللبضعة الزهراء سيّدة النساء (صلوات الله عليهم) أكرم الصفات وأحسن الأخلاق وأعظم الأفعال وأجلّ الفضائل والمناقب وقام بما لم يسمع بمثله قبله ولا بعده من بذل نفسه وماله وآله في سبيل إحياء الدين وإظهار فضائح المنافقين وأظهر من إباء الضيم وعزّة النفس والشجاعة والبسالة والصبر والثبات ما بهر العقول، ومصيبته وكيفية شهادته من أفظع ما صدر في الكون مع أنّه ابن بنت النبيّ صلى الله عليه وآله الذي لم يكن على وجه الأرض ابن بنت نبيّ غيره صلى الله عليه وآله وقد حزن صلى الله عليه وآله

لتلك المصيبة قبل وقوعها وكذلك آله الأئمة الأطهار عليهم السلام كانت سيرتهم تجديد الأحزان لذكرى تلك الفاجعة الأليمة حتّى قال الرضا عليه السلام: «كان أبي إذا دخل شهر المحرّم لا يُرى ضاحكاً وكانت الكآبة تغلب عليه حتّى تمضي عشرة أيّام منه فإذا كان اليوم العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبته وحزنه وقد ندبوا عليهم السلام إلى ما ندب إليه في حقّ كل مُحبّ مع حبيبه من الفرح لفرحهم والحزن لحزنهم واقترن ذلك شيعتهم وأوليائهم فجددوا ذكرى مصيبة الحسين عليه السلام وكيفية شهادته التي تكاد أن تفتت الصخور فضلاً عن الأكباد والقلوب. لا سيما في عشر المحرّم التي وقعت فيها تلك المصائب الفادحة فقد كان ثورة عارمة أشرقت على كل العوالم وهي تصيح بوجه كل ظالم وينتصف بها للمظلوم...قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**حسينٌ منّي وأنا من حسين**»[1].

(١) بحار الأنوار :٤٣/ ٢٦١، مسند احمد ابن حنبل، ١٧٢/٤.

نهضة الحسين بن علي

في بعض فترات التاريخ يبدو الواقع حاداً شديد الحدة. فيخيل للإنسان الذي يعايش هذا الواقع أنّ كل ما قرأه عن القيم الخيرة، والنزوع البشري إلى الخير إن هو إلاّ كتاب حالمين لم يصطدموا بالواقع. فعند احترام هذا الواقع لا يستطيع الإنسان أن يميز بين الخطأ والصواب، وحين ينتصر الباطل في أفضع صوره في موقعه أو أثر موقعه، ويكتسح الحكم الإرهابي أمامه كل العقبات، يحدث ما يشبه الوباء العام. وتصبح غالبية الناس جبناء وانتهازيين وقتلة ومجرمين، حتّى يصعب تصديق أنّ الطبيعة الإنسانية تحتوي على أي أساس يمت للخير بصلة.

إنّ نفوس الناس تنهار واحدة إثر الأخرى والعدوى تنتقل انتقال الوباء المستشري وتفقد البشرية إحساسها بالكرامة. وكأنّها هي تحكم على نفسها بالانحطاط إلى أبعد مدى تعاقب نفسها بما ترتكبه من آثام.

وليس يعد ذلك صراعاً بين قوى ظالمة وقوى مظلومة، إنما هي في

الواقع صراع بين القيم الإنسانية والقيم السفلى. ومهما تلبس القوى المتحكمة تصرفاتها من أردية المنطق والعدالة والسياسة فإنّها في الواقع تنخر في صميم الكيان البشري، وتوشك أن تؤدي بهذا الكيان إلى الفناء.

وكل سلطة متحكمة ترى دائماً إلى جانب السيف والمال مفكّريها الذين يفسقون التسلط ويبررونه، ولقد كان معاوية يردّد كثيراً: ﴿**يؤتي المُلكَ لمَن يَشاءُ**﴾. وكان يقول ولكنه قدر إلهي، وإنّ هذا القدر قد اختاره، وبناءً على ذلك فكل سلوك له يستمد شرعيته من هذا الاختيار.

ولنا أن نعجب وندهش من تلك الآراء التي تعبر عن نفسها بوقار العلم والموضوعية وبمنطق حتمية التاريخ لتصوّر المرحلة على إنّها مرحلة بناء الدولة وأنّ معاوية كان رجل دولة، وفي سبيل هذا البناء التزم سياسة واقعية بارعة في مقابل سياسات خيالية اتبعها خصومه من أصحاب الدعوة إلى العدل الاجتماعي والكرامة الإنسانية.

وكثير من هؤلاء المؤرخين يرون أنّ منطق التطور في الوضع القبلي إلى الدولة المركزية، هو الذي يبرر كل ما حدث من جرائم لإنشاء هذه الدولة ومع ذلك فالدولة لم تعمر وبعد ذلك إلاّ ستين عاماً، ولم تلبث أن انهارت انهياراً كاملاً.

كان (صن بات) الزعيم الروحي للصين الحديثة يقول عقب كل فشل لثورته الوطنية هذا هو فشلك الرابع أو الخامس أو العاشر. إلى آخر سلسلة الفشل التي تعرضت لها الثورة الصينية قبل أن تنتصر.

والواقع أنّ تاريخ البشرية جميعاً هو سلسلة من الثورات الفاشلة حتّى تتحقق ثورة ناجحة لا تلبث هي الأخرى أن تتجمد أو تغتصب لتظهر ثورات أخرى تتابع في فشلها حتّى يتحقق النصر الحاسم. والثورة ليست سابقة لأوانها أبداً فالشرارة الأولى هي دائماً الإعلان الحاسم بوجوب نقلة أخرى. وهذه النقلة قد تنتصر طويلاً حتّى تتحقق، ولكن دون أن تظهر هذه الشرارة، فإنّ الثورة لا تولد، بل تصبح في حكم العدم.

والثورة ليست مجرد تغيير تنشده وتعمل له مجموعة مقهورة، لتلقي قهرها وتسترد حقوقها بل هي أعمق من هذا، إنّها ريق في سلم التطور الأخلاقي للمجموعة البشرية وهذا السلم يبدأ في السلوك الفردي في أبسط صوره، إلى السلوك الجماعي للأمّة، والإنسانية بشكل عام، وكان الصراع من أجل توزيع الثورة وهو ذريعة قانون التطور للوصول إلى مستوى أخلاقي واعي للمجموعة البشرية.

وآية ذلك أنّ قادة الثورات لا تحركهم إلى الثورة ضغوط الحرمان أو القهر وحدها، بل قيم إنسانية أعلى من القيم السائدة، بل إنّ هؤلاء

القادة غالباً ما يكونون واقعيين تحت ضغوط غير مادية. بل لعلّهم في الأغلب لا يعانون من أي ضغط أو حرمان مادي.

إنّ التركيبة النفسية لقادة الثورة تتناقض مع القيم الأخلاقية السائدة في مجتمعهم فهم يحسون بدوافع قويّة للدفاع عن المثل التي أهدرت ويشعرون باختلال الطريق البشري إلى الارتقاء الروحي ينذرون لإعادة الجماعة الإنسانية إلى الطريق السوي.

وكثير ما يكون القائد الثوري محكوماً عليه بالاندفاع في طريق الثورة بحيث لا يملك التراجع حتّى ولو أراد، فإنّ طبيعته تدفعه إلى الثورة حتّى لحظات الخطر الماحق والعذاب الرهيب.

ولسنا ندري لما نختار البطل الجانب الخاسر في اللحظات الحاسمة حين يكون الاختيار بين أمرين: التراجع الآمن، والعذاب المحقق.

وكما ينطبق هذا على الثائر القائد ينطبق على الثائر الجندي، وعلى المشانق والمقاتل والصلبان وفي جمرات التعذيب الحديثة والقديمة، يظهر هذا الجنون المهم المنتحر، وهو جنون وحشي مصمم يثير في الدهشة ما يثيره من ثبات الثائر وإصراره، وأروع لحظات الاستشهاد ولا تظهر إلا في لحظات الانحدار الروحي الشديد، وكأن المجموعة البشرية تطلق كل إمكانياتها في هذه اللحظات الشديدة الخطورة، عندئذ يصبح الصراع الطبقي مجرد ذريعة لتتخطى البشرية هوة الانحدار الأخلاقي.

وأمامنا الكثير من قصص الغدر والخيانة والتوحش في تلك الفترة لتدلنا على مدى ما وصل إليه الانهيار الأخلاقي في تلك الفترة التي عزم فيها الحسين بن علي عليه السلام على التصدي للنظام، فلقد رأى الحسين كيف تخاذل الأنصار عن أبيه، ورأى ضعف الناس إزاء الحكومة والأغراء، ورأى غير ذلك من الحوادث الغريبة التي تشكك الرجل في نفسه، ومع ذلك خرج الحسين عليه السلام، وهو يحسب أن الناس ما زالوا يطلبون العدل الاجتماعي، وأنّه من الطبيعي أن ترفض الكرامة البشرية أن يعترض عليها حاكم سكير عربيد في مجتمع يعتبر السكر والعربدة معصية تستوجب عقاب الله والمجتمع، والحسين عليه السلام في اللحظة الأولى قد اختار دوره أو على الأصح قد اختار دوروه، فطبيعته ترفض كل ما يحدث، وهي ترفضه لحد الأزمة، فإن السيف والإرهاب يطالبانه بالبيعة ليزيد فلا يبايع، ويأوي إلى مكة، وفي مكة يتقاطر حوله الناس يدعونه إلى الخروج وطلب البيعة، ولو لم يطلب إليه الناس ذلك لكان قد خرج أيضاً ولمات قهراً، فإلى جانب الذين حثوه على الخروج كان هناك الذين يخصونه على إيثار السلامة، وكانوا من أخلص الناصحين له، ومع ذلك لم يقبل السلامة.

جاءته الكتب من العراق بأنّه لو وفد عليهم لبايعوه، فاتخذ هذه الكتب ذريعة ليلعب دوره المقرر عليه، أرسل ابن عمه مسلم بن عقيل إلى أصحاب هذه الكتب يستطلع الأمر، وأستقبل مسلم استقبالاً حسناً وله أن يملك الوالي هناك بدون أن يتصدى له، بل كل ما فعله هو النصح، فما أن علم مستشارو الخلافة الدهاة بموقف الوالي حتى اقترحوا عزله، وتعيين عبيد الله بن زياد بن أبيه مكانه، فجاء عبيد الله هذا، وهو النموذج المقابل لمسلم وللثوار، رجل السلطة الذين تحكمه طبيعته، أيضاً ليوغل في الإثم إلى الدرك الأسفل، ونشبت المعركة سجالاً بين الجبن والشجاعة الهاشمية، وبين اللؤم والنبل، فهو يفر عن وجه الجماهير، ويحتمي بالقصر، ثم يظهر في صورة الجبار حين تتفرق الجماهير، ويخلف العهد، ويغري بالمال، ويغري بالسلطة، ويستعمل سلاح الإرهاب والتخويف، حتى يستطيع أخيراً الظفر بمسلم فيقتله قتلة شنعاء، ويلقي بجثته من أعلى القصر[1].

وتأتي كتب مسلم إلى الحسين عليه السلام بأن عشرات الألوف ينتظرون لمبايعته ويترك الحسين عليه السلام فيبلغه ما حدث لمسلم، وبدلاً من أن

(١) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ٤١/٤.

يتراجع مؤثراً السلامة يقرر المضي إلى العراق مقيتاً لنفسه ولأهله ونفره القليل بأنّه حين يدخل العراق سيلتف الناس حوله وكان يعني أن وجوده بينهم سيقضي على خوفهم وتخاذلهم ويردهم إلى آدميتهم، وهو بذلك يحدد دوره، أنّه بعث الروح من جديد ليس أكثر، ويمضي الحسين عليه السلام وليس معه إلاّ سبعون رجلاً ونساؤه وأطفاله.

وفي هذه اللحظة يكون الحسين عليه السلام قد أدرك الموقف كله فهو يعلم أن جيوش عبيد الله بن زياد قد تعترضه، بل هي تعترضه قطعاً، وعندئذٍ تكون النهاية، ولكن الحسين عليه السلام كان يعلم أنّه لابد من فدية شخصية، فدية تتوهج بالدم وكان هو الوحيد الذي يملك أن يتقدم كفدية تهز الضمير شبه الميت في قلب الأمّة.

أسباب الثورة أو الدوافع الرئيسية لها

إنّ الحسين عليه السلام كان أمره ليس حنكة وغفلة سياسية، وليس واقعية اوروماتيكية، أنّه أمر واضح تماماً يرتفع عن مستوى الغفلة أو الخيال، أذكى وأشرف رجل في عصره يقدم نفسه ليوغل فيه إعداد القيم العليا ما شاء لهم انحدارهم ما يستطيع أن يصل إليه الشر فتكون الصرخة التي توقظ ضميراً خربوه بكل الوسائل.

ولما عزم الإمام الحسين عليه السلام على مغادرة الوطن في معارضته للنظام الأموي الدموي، كتب وصيته وبين أهدافه الرائدة والدوافع الرئيسية من ثورته الخالدة، فقال «**بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به الحسين بن علي بن أبي طالب إلى أخيه محمد المعروف بابن الحنيفة: إن الحسين يشهد أن لا إله الله وحده لا شريك له، وأن محمد عبده ورسوله، جاء بالحق من عنده، وأن الجنة والنار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، واني لم اخرج بطرا ولا مفسدا ولا ظالما، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي وشيعة أبي علي بن أبي طالب، فمن قبلني بقول الحق فالله أولى بالحق، ومن رد علي هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين**».[1]

---

(١) نفس المهموم: ١٤٨

فقد بيّن الإمام الحسين عليه السلام في هذه الفقرات سبب نهضته الإصلاحية والغاية المتوخاة من إعلان ثورته العادلة ضد بني أمية الجائرة، وأنّه لم يقيم بثورته لأجل السيطرة على الأمة الإسلامية واستغلال أراضيهم وأموالهم ونشر الظلم والفساد في الأرض، كبعض الملوك والولاة، وإنّما كان خروجه طلباً للإصلاح، وأماتت الباطل ونصرة الحقّ وإعادة الحياة الديمقراطية التي تتماشى مع الكتاب والسنة.

وقال أحد الألمان: «**إنّ الحسين عليه السلام إنّما سار إلى مقتله لم تكن له قط حاجة في السلطة والرياسة، وإنّما كان نهوضه لنصرة العدل وإحياء الشرع والسنّة وإماتة الجور والبدعة فضحى بنفسه ونفوس الأعزاء من أهل بيته وصحبه الكرام من أجل ذلك**».[1].

وهكذا مضى الحسين عليه السلام في طريقه إلى العراق بعدما خطب في الناس، وقال: «**الحمد لله ما شاء الله ولا قوة إلاّ بالله، وصلى الله على رسوله، خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخير لي مصرع أنا لاقيه، كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين**

(١) دائرة معارف القرن العشرين:٣٦/٢.

النواويس وكربلاء، فيملأن مني أكراشاً جوفا، وأجربة سغباً، لا محيص عن يوم خط بالقلم، رضا الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلاءه، ويوفينا أجور الصابرين، لن تشذ عن رسول الله لحمته، وهي مجموعة له في حضيرة القدس تقر بهم عينه وينجز بهم وعده من كان باذلاً فينا مهجته وموطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا فإنني راحل مصبحاً إنشاء الله»[1]، وبهذا الخطاب البليغ قد ندب طلاب الدين وعشاق الشهادة ومن يروم نصرة الله، وأن لا يقول من لا بصيرة له إن الحسين عليه السلام قد خدعنا فلما كشف الحقيقة وأبان الواقع، فلم يتبعه سوى المخلصين من صحبه، والخواص من ذويه، وارتحل متجهاً إلى العراق فتخاذل عنه من تخاذل، واحتفى حوله صغار الناس اللذين ساروا في موكبه أول الطريق حين علموا بخروجه إلى البيعة لم يمض معه إلا هؤلاء اللذين تمثلت فيهم الثورية بمعناها العميق ثوريه التغيير الجذري للقيم ذاتها وتبلورت القوى الثورية هنا في هذه الجماعة الصغيرة التي تقطع الصحراء قهرية مصممه، ليس لها من أمل إلا في أن تغذي الناس بالثورة وان تغذي بالذات تلك الجيوش التي قد تقطع عليها طريقها إلى العراق. وهذا

---

(١) اللهوف في قتلى الطفوف ، ابن طاووس، ٣٨، نفس المهموم: ١٤٨.

الأمل هو الذريعة التي يتذرع بها الحسين عليه السلام ليحقق أهدافه وهو الشهادة في أكمل صورها وفي الطريق يسأل مجمعاً بن عبيد العامري ويجيبه: (أما أشراف الناس فقد أعظمت رشوتهم وملئت غرائزهم، ويستمال بذلك ودهم، فهم ألب واحد عليك، وأما سائرا لناس فإنّ أفئدتهم تهوي إليك، وسيوفهم غداً مشهورة عليك)[1].

وفي هذه الجملة تلخيص ذكي للقوى القائمة. فكبراء الناس هؤلاء اللذين يملكون الثروة، لم يعد يهمهم في شيء أن يخرج حفيد النبي صلى الله عليه وآله، بل لعل خروجه يهمهم من زاوية أخرى؛ وهو أن هذا الحفيد يريد أن يغير مراكز القوى. وأن يعيد توزيع الثروة، وأن يمضي في نفس الطريق الذي مضى فيه أبوه فهو من هذه الناحية عدو طبقي لا يهمل خروجه في طلب البيعة. أنه الحسين بن علي عليهما السلام بن فاطمة عليها السلام ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله، والحكومة قوية ولتفعل ما تشاء، ولكن الحكومة ليست بهذه البلاهة أنها لا تلقي بدم الحسين عليه السلام على عاتقها وحدها، فمن أراد أن يدافع عن ثروته، وعن مركزه الاجتماعي فليشترك في دم الحسين عليه السلام.

وسنرى أن رجالاً من هذه البقية أهيب بهم أن يشتركوا في قتل

---

(١) تاريخ الطبري: ٣/ ٣٠٨.

الحسين عليه السلام وكانوا بين خوف من غضب الحكومة والشك في ولائهم للمصلحة الطبقية الواضحة، وبين أن يأثموا بدم الحسين عليه السلام على أن الأمر لم تكن له هذه الخطورة، فمن قبل قتل علي بن أبي طالب نفسه عليه السلام، ومن بعده قتل الحسن عليه السلام مسموماً، كما قتل محمد بن أبي بكر، فأن الإحساس بالإثم كان أحساساً هيناً يمر بالخاطر مراً سريعاً، ولو لا أن الحسين بالذات تربى في حجر النبي صلى الله عليه وآله، ولولا أنه رجل يمثل الصورة المثلي للإسلام كما مر مثل هذا الخاطر بأحد.

ومن الناحية الأخرى فإنّ سائر طبقات الشعب قد بلغ بها القهر والشك والخوف، وسيرة ابن زياد بن أبيه لم تنس بعد، فقد خطب فيهم خطبة خطيرة ورد فيها أنّه سيأخذ البريء بالمسيء، فقد لاقى الشعب العراقي صنوفاً من الضغط لم يلقها شعب آخر، جيلاً بعد جيل، فكيف كان يمكن لهذا الشعب المطعون أن يهب لمساندة الحسين عليه السلام.

والخوف يقضي على كل كرامة وقد استطاع الحاكم الأموي أن يزرع الخوف وأن يجعله القوت اليومي للشعب العراقي، وبهذه الصورة لم يكن لخروج الحسين عليه السلام إلاّ معنى واحداً وهو الشهادة، فأي سياسي آخر غير الحسين عليه السلام كان يستطيع تقدير الموقف، وأن يتراجع في الوقت المناسب، أو يرى طريقاً آخر للكفاح، أمّا التراجع فقد كانت فرصة أمامه حين شارف أرض العراق، وجاءته أنباء مقتل

رسوله مسلم بن عقيل عليه السلام وانقضاض الناس من حوله، ومع ذلك فقد استمع باهتمام إلى واحد من صحبه يقول: (ما أنت مثل مسلم بن عقيل، ولو قدمت الكوفة لكان الناس إليك أسرع)[١]، واقتنع الحسين عليه السلام، لم يفكر ولم ينذر موقفه.... أكان ذلك عن سوء تدبير[٢]؟ لا يستطيع أحد أن يحكم هنا بسوء تدبير الحسين عليه السلام فهو منذ تحرك من مكة كان يعلم أن الوضع قد بلغ الحد الذي يدفع إلى المواجهة إلى القتال الصريح مهما تكن القوى التي تجابهه.

وقد تأكد له الموقف بعد ذلك، حين أرسل قيساً بن مسهر الصيداوي، فقتل هو الآخر، ثم عاد فأرسل عبد الله بن يقطر، فأُلقي من شرفات القصر، أي شيء إذن كان يتوقعه[٣] ؟ إنّه يلح في الاتصال بالشعب، فقد وضع أمله فيه، وإن لم يستطيع الاتصال به عن طريق الكتب إذ كانت رسله يقتلون واحداً بعد الآخر، فليس هناك إلاّ أن يتصل بهم بحدث يزلزل كيانهم، هذا كان تفكير الحسين عليه السلام ؟ ليس من الضروري أن تكون هذه الفكرة واضحة في الذهن، بل يكفي أن تكون هي الموجه لكل تصرف، وجميع تصرفات الحسين عليه السلام تؤكد

---

(١) مقتل أبو مخنف الازدي: ٧٨.

(٢) قال بعض المخالفين أن الحسين عليه السلام أدى بنفسه إلى التهلكة.

(٣) انظر: البداية والنهاية ، ابن كثير: ١٨٢/٨.

أن مثل هذه الفكرة وراءها، فلم يكن أمامه إلاّ إن يتراجع، وكان له أكثر من مبرر للتراجع، فهؤلاء الذين كتبوا إليه يستقدمونه انفضوا عن رسوله حتى قتل، وها هو يرسل رسلاً آخرين فلا يكون حظهم خيراً من حظه.

فلماذا لم يتراجع؟ إلاّ أنّه كان عليه عندئذ أن يمنح البيعة ليزيد، وكانت البيعة في رأيه أكبر الكبائر، ألا يعتكف في حرم الكعبة، وهل كان ليزيد أن يخرج عن قتله في قلب الحرم، ليس أمامه إلاّ أن يمضي في طريقه، فهو يعلم تماماً أن ظهوره أمام الشعب سوف يجمعهم حوله، يعلم كيف يحدثهم، وكيف ينزع الخوف من قلوبهم، ولكن كيف يصل إلى مداخل العراق، وعبد الله بن زياد يرصد له الجيوش الآن ... إن الموقف لا يصعب تقديره على الرجل العادي، ومن المؤكد أن الحسين عليه السلام كان محيطاً به من كل جوانبه، وربّما خالجه ظن بأن أي جيش سيعترض طريقه لا يلبث أن يلين له حين يخاطبه، فيزيل الغشاوة عن عينيه، هذا خاطر لازمه مع خاطر آخر لم يفارقه، وهو أنّه مقتول بغير شك إذ كان يردد أن الموت كتب على ابن آدم كما ذكرنا في خطابه عليه السلام.

كان يضع موته على كتفه وثقته في الناس في كفه، فهو لم يفقد الثقة في الجوهر الكامن في النفس الإنسانية؛ وذلك الجوهر النازع إلى

الارتقاء الروحي، ومرة أخرى لم يتراجع الحسين عليه السلام بل مضى في طريقه إلى الشهادة.

ومضى يريد الحرب، حتى أنّه تحت اللواء يموت، وهو شهيد، ولما أكثروا عليه بالتراجع، أنشد أبيات أخي الأوس:

سأمضى فما الموت عار على الفتى

إذ ما نوى خيراً وجاهد مغرما

وآسى الرجال الصالحين بنفسه

وفارق مثبوراً وخالف مجرما

وإن عشت لم أذم وإن مت لم

كفى بك ذلاً أن تعيش وترغما

ثم قرأ ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَقْدُوراً﴾[1].

بداية المواجهة

أولاً: لم يكد الحسين عليه السلام يمضي إلاّ قليلاً حتى التقى عند جبل ذي حسم بجيش من ألف فارس يقوده الحر بن يزيد الرياحي، وهو أحد الأشراف الذين أشار إليهم مجمع بن عبيد العامري، بل سنرى

(١) الأحزاب/ ٣٨.

أيضاً أن اختيار الرجال الذين سيحاربون الحسين عليه السلام، تم بدقة، حتى تتبلور أفكار الشعب، فالقائد الذي قاتل الحسين عليه السلام في معركته الأخيرة كان عمر بن سعد بن أبي وقاص، ابن صحابي كبير، ماذا يقول الشعب عندئذ ؟ أبن علي بن أبي طالب عليه السلام، يقاتله ابن سعد بن أبي وقاص؟ وانّه لأمر مثير للدهشة أن يأتمر عمر بن سعد بن أبي وقاص، بأوامر عبيد الله بن زياد، أبن فاتح فارس وصحابي رسول الله ؟ يأتمر بأمر ابن زياد مجهول الأب، المشكوك في نسبه.

بل إن عمر لا يأتمر بأمر عبيد الله بن زياد فحسب بل يتملق ويدهن إليه، فحين جيء بمسلم بن عقيل بين يدي عبيد الله بن زياد طلب مسلم أن يفضي بكلمة إلى عمر، وتقدم إليه عمر فهمس مسلم في إذنه مناشداً قرابته أن ينفذ وصيته التي سيفضي بها إليه، وهي أن يرد ديناً عليه قد أقترضه من رجل بالكوفة، فيبيع سيفه ودرعه ويوفي دينه، وأن يرسل إلى الحسين عليه السلام من يمنعه من المجيء مصمماً رسالة سابقة بأن الناس معه، ولكن عمر بن سعد بن أبي وقاص لم يكتم السرّ الأخير، بل بادر فأفشاه لعبيد الله بن زياد، إلى هذا المدى فقد أعاظم الرجال كرامتهم، فإلى أي مدى فقد الشعب المقهور هذه الكرامة ؟

وتقدم الحر بن يزيد الرياحي فقال للحسين عليه السلام أنّه أُمر بأن يقدم به على عبيد الله بن زياد، لم يجبه الحسين عليه السلام، بل أمر مؤذنه أن يؤذن

لصلاة الظهر، ثم خطب الجميع أصحابه وخصومه على السواء أو خصومه بوجه خاص.

«أيّها الناس إنها معذرة إلى الله وإليكم، فإني لم آتكم حتى أتتني كتبكم ورسلكم أن أقدم علينا فليس لنا إمام فلعل الله أن يجمعنا بك على الهدى وقد جئتكم فإن تعطوني ما أطمئن به من عهودكم أقدم مصركم وإن كنتم لقدومي كارهين انصرفت إلى المكان الذي أقبلت منه»[1].

وكانت لحظة صمت جماعة، لا يدري أحد ما جرى في أذهانهم، ولعلّهم كانوا جميعاً يودون لو يقاتلون من أجله، ولكن الخوف والمصلحة وكل عروض الدنيا تقف دون ذلك، وعندئذ التفت الحسين عليه السلام وقال للمؤذن: «اقم الصلاة»، ثم التفت للحر بن يزيد الرياحي وسأله: هل يصلي كل فريق على حده ؟ فقال الحر: بل نصلي بصلاتك، وانتهت الصلاة خلف الحسين عليه السلام.

وبدأ ركب الحسين عليه السلام يتجه وجهه، وبدأ الحر يتعقبه، وكلما اتجه وجهة أخرى حاصره ورده إلى طريق الكوفة، وأخيراً وقف الحسين مرة أخرى يعظهم وقال: «أيّها الناس... إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من

(١) البداية والنهاية ، ابن كثير:١٨٦/٨،كتاب الفتوح ، ابن اعثم الكوفي: ٧٦/٥.

رأى سلطانا جائرا مستحلا لحرم الله ناكثا لعهد الله مخالفا لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان ثم لم يغير بقول ولا فعل كان حقيقا على الله أن يدخله مدخله وقد علمتم أن هؤلاء القوم قد لزموا طاعة الشيطان وتولوا عن طاعة الرحمن، وأظهروا في الأرض الفساد وعطلوا الحدود والأحكام واستأثروا بالفئ وأحلوا حرام الله، وحرموا حلاله، وإني أحق بهذا الأمر لقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أتتني كتبكم وقدمت عليَّ رسلكم ببيعتكم إنكم لا تسلموني ولا تخذلوني فإن وفيتم لي ببيعتكم فقد أصبتم حظكم ورشدكم ونفسي مع أنفسكم وأهلي وولدي مع أهليكم وأولادكم فلكم بي أسوة وإن لم تفعلوا ونقضتم عهودكم ونكثتم بيعتكم، فلعمري ما هي منكم بنكر لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي والمغرور من اغتر بكم فحظكم أخطأتم ونصيبكم ضيعتم، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه وسيغني الله عنكم والسلام»[1].

ولكن الخطبة أعقبها صمت تام، ثم تقدم الحر يحذره بأنّه إذا قاتل فسيقتل، فصاح فيه الحسين عليه السلام: «**أبالموت تخوفني؟**» وصبر الحسين عليه السلام، ومضى الحر وراءه يمنعه كلما ابتعد عن طريق الكوفة، والحسين يرفض أن يبدأ بالقتال.

---

(١) مقتل الحسين ، أبو مخنف الازدي :٨٥

حديث الأمان

روى أصحاب السير أن عمر بن سعد نهض إلى الحسين عليه السلام عشية الخميس لتسع مضين من المحرم، وجاء شمر حتى وقف على أصحاب الحسين عليه السلام فقال: أين بنو أختنا ؟ فخرج إليه العباس وجعفر وعبد الله وعثمان بنو علي عليه السلام فقالوا له: مالك وما تريد ؟ قال: أنتم يا بني أختي آمنون، قال له الفتية: لعنك الله ولعن أمانك، لئن كنت خالنا أتؤمننا وابن رسول الله لا أمان له ؟

الحسين يرى جده

قال: ثم إن عمر بن سعد نادى: يا خيل الله اركبي وأبشري فركب في الناس ثم زحف نحوهم بعد صلاة العصر والحسين عليه السلام جالس أمام بيته محتبيا بسيفه إذ خفق برأسه على ركبتيه، وسمعت أخته زينب الصيحة فدنت من أخيها، فقالت: يا أخي أما تسمع الأصوات قد اقتربت. قال: فرفع الحسين عليه السلام رأسه فقال: إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام فقال لي: إنك تروح إلينا، قال: فلطمت أخته وجهها وقالت: يا ويلتا، فقال: ليس لك الويل يا أختي، أسكتي رحمك الرحمن. وفي رواية السيد ابن طاووس ـ عليه الرحمة ـ قال: وجلس الحسين عليه السلام فرقد ثم استيقظ، فقال: يا أختاه إني رأيت الساعة جدي محمد صلى الله عليه وآله

وأبي عليا وأمي فاطمة وأخي الحسن عليهم السلام وهم يقولون: يا حسين إنك رائح إلينا عن قريب، وفي بعض الروايات غدا.

العباس عليه السلام يكلم القوم

وقال العباس بن علي عليه السلام: يا أخي أتاك القوم، قال: فنهض، ثم قال: يا عباس اركب بنفسي أنت يا أخي حتى تلقاهم فتقول لهم: مالكم وما بدا لكم؟ وتسألهم عما جاء بهم؟ فأتاهم العباس عليه السلام فاستقبلهم في نحو من عشرين فارسا فيهم زهير بن القين وحبيب بن مظاهر، فقال لهم العباس: ما بدا لكم وما تريدون، قالوا: جاء أمر الأمير بأن نعرض عليكم أن تنزلوا على حكمه أو ننازلكم، قال: فلا تعجلوا حتى أرجع إلى أبي عبد الله عليه السلام فأعرض عليه ما ذكرتم، قال: فوقفوا ثم قالوا: القه فأعلمه ذلك، ثم القنا بما يقول، قال: فانصرف العباس راجعا يركض إلى الحسين عليه السلام يخبره بالخبر. ووقف أصحابه يخاطبون القوم، فقال حبيب بن مظاهر لزهير بن القين: كلم القوم إن شئت وإن شئت كلمتهم؟ فقال له زهير: أنت بدأت بهذا فكن أنت تكلمهم؟ فقال له حبيب بن مظاهر: أما والله لبئس القوم عند الله غدا قوم يقدمون عليه قد قتلوا ذرية نبيه صلى الله عليه وآله وعترته وأهل عليه السلام وعباد أهل المصر المجتهدين

بالأسحار، والذاكرين الله كثيرا. فقال له عزرة بن قيس: إنك لتزكي نفسك ما استطعت ! ؟ فقال له زهير: يا عزرة إن الله قد زكاها وهداها فاتق الله يا عزرة فإني لك من الناصحين، أنشدك الله يا عزرة أن تكون ممن يعين الضلال على قتل النفوس الزكية قال يا زهير: ما كنت عندنا من شيعة أهل هذا البيت إنما كنت عثمانيا. قال: أفلست تستدل بموقفي هذا أني منهم ؟ أما والله ما كتبت إليه كتابا قط، ولا أرسلت إليه رسولا قط، ولا وعدته نصرتي قط، ولكن الطريق جمع بيني وبينه، فلما رايته ذكرت به رسول الله عليه السلام ومكانه منه وعرفت ما يقدم عليه من عدوه وحزبكم فرأيت أن أنصره، وأن أكون في حزبه وأن أجعل نفسي دون نفسه حفظا لما ضيعتم من حق الله وحق رسوله صلى الله عليه وآله قال: وأقبل العباس بن علي عليه السلام يركض حتى انتهى إليهم. فقال: يا هؤلاء إن أبا عبد الله عليه السلام يسألكم أن تنصرفوا هذه العشية حتى ينظر في هذا الأمر، فإن هذا أمر لم يجر بينكم وبينه فيه منطق فإذا أصبحنا التقينا إن شاء الله فإما رضيناه فأتينا بالأمر الذي تسألونه وتسومونه أو كرهنا فرددناه وإنما أراد بذلك أن يردهم عنه تلك العشية حتى يأمر بأمره ويوصي أهله فلما أتاهم العباس بن علي عليه السلام بذلك، قال عمر بن سعد: ما ترى يا شمر ؟ قال: ما ترى أنت ؟ أنت الأمير والرأي رأيك قال: قد أردت

ألا أكون ثم أقبل على الناس، فقال: ماذا ترون ؟ فقال عمر بن الحجاج بن سلمة الزبيدي: سبحان الله والله لو كانوا من الديلم، ثم سألوك هذه المنزلة لكان ينبغي لك أن تجيبهم إليها. وفي رواية السيد ـ عليه الرحمة ـ فقال عمرو بن الحجاج الزبيدي: والله لو أنهم من الترك والديلم وسألونا مثل ذلك لأجبناهم، فكيف وهم آل محمد صلى الله عليه وآله ؟ ! فأجابوهم إلى ذلك وقال قيس بن الأشعث: أجبهم إلى ما سألوك فلعمري ليصبحنك بالقتال غدوة فقال: والله لو أعلم أن يفعلوا ما أخرتهم العشية. قال: وكان العباس بن علي عليه السلام حين أتى حسينا بما عرض عليه عمر بن سعد قال: ارجع إليهم فإن استطعت أن تؤخرهم إلى غدوة، وتدفعهم عند العشية لعلنا نصلي لربنا الليلة وندعوه ونستغفره، فهو يعلم أني قد كنت أحب الصلاة له وتلاوة كتابه وكثرة الدعاء والاستغفار.

فاستمهل السبط الطغاة لعله

يدعو إلى الله العلي ويضرع

فأقام ليلته يناجي ربه

طورا ويسجد في الظلام ويركع

وروي عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام قال: أتانا رسول من قبل

عمر بن سعد فقام مثل حيث يسمع الصوت فقال: إنا قد أجلناكم إلى غد فإن استسلمتم سرحنا بكم إلى أميرنا عبيد الله بن زياد وإن أبيتم فلسنا تاركيكم[١].

حديث زينب مع أبي الفضل العباس عليه السلام

ذكر البعض حديثا جرى بين العباس وبين أخته زينب عليها السلام وذلك بعد رجوعه من محادثة الشمر، وقد أنكر عليه رافضا أمانه الذي جاء به له ولإخوته ! قال: ورجع أبو الفضل عليه السلام يتهدرس كالأسد الغضبان استقبلته الحوراء زينب عليها السلام وقد سمعت كلامه مع الشمر، قالت له أخي اريدأن أحدثك بحديث ؟ قال: حدثي يا زينب لقد حلا وقت الحديث! قالت: إعلم يا بن والدي لما ماتت أمنا فاطمة عليها السلام قال أبي لأخيه عقيل: أريد منك أن تختار لي امرأة، من ذوي البيوت والشجاعة حتى أصيب منها ولدا ينصر ولدي الحسين بطف كربلا، وقد أدخرك أبوك لمثل هذا اليوم، فلا تقصر يا أبا الفضل ! فلما سمع العباس عليه السلام كلامها تمطى في ركاب سرجه حتى قطعتهما، وقال لها: أفي مثل هذا

(١) انظر: الإرشاد: المفيد: ٢/ ٩٠، اللهوف: ٣٣، مثير الحزان:٣٦-٣٧.

اليوم تشجعينني وأنا ابن أمير المؤمنين عليه السلام؟! فلما سمعت كلامه سرت سرورا عظيما.

بطل إذا ركب المطهم خلته جبلا أشم يخف فيه مطهم
بطل تورث من أبيه شجاعة فيها أنوف بني الضلالة ترغم

وقد أجاد السيد محمد رضا القزويني حيث يقول :

قرت لها عين الكريمة زينب لتراك أهلا أن تصون خباءها
فمضت تقص عليك دورا عاصفا فيك الشهامة[1]

ثانياً: أخيراً ظهرت طلائع جيش جديد من أربعة آلاف رجل على رأسهم عمر بن سعد بن أبي وقاص لا أحد غيره، وانتهى الأمر بين الطرفين إلى أن حضر الحسين عليه السلام وصحبه في كربلاء، وأن الحرب لابد أن تقع، فبعد قليل وصل شمر بن ذي الجوشن ليكون رقيباً على عمر بن سعد بن أبي وقاص إذا تخاذل، وهنا جمع الحسين عليه السلام أصحابه، وقال لهم: «**لقد برزتم وعاونتم والقوم لا يريدون غيري، ولو قتلوني لم يتبعوا غيري أحداً.. فإذا جنكم الليل فتفرقوا في سواده وانجوا بأنفسكم**»[2]، وفي موضع آخر بإسناده عن أبي حمزة الثمالي والسيد البحراني في مدينة المعاجز مرسلاً عنه قال: «**سمعت**

(١) انظر: ثمرات الأعواد:علي الهاشمي: ١ / ١٦٧ - ١٦٨ ،أسرار الشهادة الدربندي: ٢ / ٤٩٧، معالي السبطين :الحائري: ١ / ٤٣٤، مقتل الحسين المقرم: ٢٠٩.

(٢) مقاتل الطالبيين ، أبو الفرج الأصفهاني: ٧٤.

«سمعت علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام يقول: لما كان اليوم الذي استشهد فيه أبي جمع أهله وأصحابه في ليلة ذلك اليوم فقال لهم: يا أهلي وشيعتي اتخذوا هذا الليل جملاً لكم وانجوا بأنفسكم، فليس المطلوب غيري ولو قتلوني ما فكروا فيكم، فانجوا رحمكم الله، وأنتم في حل وسعة من بيعتي، وعهدي الذي عاهدتموني»[1]، ولم يقبل واحد منهم أن يترك الحسين عليه السلام ويهرب بحياته، فجزاهم الحسين عليه السلام خيراً، وانصرف إلى منزله.

لله درهم من فتية صبروا

ما أن رأيت لهم في الناس أمثالا

تلك المكارم لا قعبان من لبن

شيباً بماء فعادا بعد أبوالا

ويعود الحسين عليه السلام فليح في هذا، فلا يخرج من معسكره رجل واحد، كانوا سبعين رجلاً بإزاء خمسة آلاف رجل.

ثالثاً: عرض عمر بن سعد التسليم فرفض الحسين عليه السلام، بل الاحتكام إلى الشعب، وحصر الحسين وصحبه عند كربلاء بعيداً عن الماء، حيث يحميه جيش عمر بن سعد، واشتد الظمأ في الأطفال والنساء، وحمل الحسين عليه السلام ولده عبد الله الرضيع ليسقيه بنفسه، ضانا أن وجود الطفل

---

(١) مدينة المعاجز ، البحراني: ٢١٥/٤.

معه قد يمنع محاصريه من إيذائه، ولكنهم رشقوا الطفل بسهم فسقط صريعاً بين يدي أبيه[١]، وتمالك الحسين أمام هذا كله بنفسه، فإلى آخر لحظة كان يأمل في أن يبعث الروح في هذه الضمائر الميتة.

وتقدم الحسين عليه السلام يخطب الجيش وهو في رداء النبي صلى الله عليه وآله فإذا بالجيش يحدث من الضجيج والضوضاء ما يغطي على كلامه، ولم يتراجع الحسين عليه السلام، بل ظل صامتاً حتى هدأت ضجتهم، ثم انفجر قائلاً: «**أنسبوني من أنا .. هل يحل لكم قتلي وانتهاك حرمتي ؟ ألست ابن بنت نبيكم ؟ أولم يبلغكم ما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله فيّ وفي أخي؟: هذان سيدا شباب أهل الجنّة**، ويحكم أتطلبونني بقتيل لكم قتلته، أو مال لكم استهلكته[٢]، وقد أحدثت هذه الكلمات أثرها كالسمر، وبدأت الرجال من جيش عمر بن سعد تنضم إلى جانب الحسين عليه السلام، وكان أولهم الحر بن يزيد الرياحي.

وكان الموقف خطيراً فلو انتظر عمر قليلاً لانخرط الجيش كله، كما أنّه حث الرقباء أن يبلغوا يزيداً بما حدث، فما كان إلاّ أن تناول

---

(١) انظر: مقاتل الطالبيين ، أبو الفرج الأصفهاني: ٥٩.

(٢) انظر: الإرشاد ، المفيد: ٢١٦، تاريخ الطبري ، ٢٤٣/٦.

سهمه ورمى به جماعة الحسين عليه السلام، وهو يصيح أشهدوا لي عند الأمير إنّني أول من رمى الحسين عليه السلام.

وهكذا بدأ القتال في توتر وسرعة لا تتيح لكلمات الحسين عليه السلام أن تفعل أثرها، وقاتل الحسين عليه السلام وصحبه قتالاً مجيداً حتى سقطوا جميعاً، وسقط الحسين عليه السلام مثقلاً بجراحه، ثم مصاباً بمائة وعشرين طعنة، ثم تقدم شمر بن ذي الجوشن، فأحتز رأسه، ثم وطأوا جسده الشريف بخيولهم حتى رضوا ضلوعه ومثلوا به أشنع تمثيل وحملوا الرؤوس ومضوا بها على أسنة الرماح إلى عبيد الله بن زياد، ثم إلى يزيد بن معاوية[1].

وبذلك انتهت أوّل جولة للعدل مع الظلم، انتهت بأروع استشهاد وأعظم بطوله، وكانت شهادة الحسين عليه السلام أعظم انتصار للثورة، لأنها تغلغلت في الضمير العربي والإسلامي، وأحيت الضمائر التي خنقها الإرهاب، لتسقط بعد ذلك بستين عاماً فقط، دولة بني أمية.

الآثار التي تركتها ثورة الإمام الحسين عليه السلام

شاء الله (عزّ وجلّ) أن يجعل من استشهاد الإمام الحسين عليه السلام عبرة ودمعة، وأسوة لكل الأجيال التي تلته والتي كانت قبله، حتى الأنبياء

---

(١) انظر: ترجمة الإمام الحسين ، ابن عساكر: ٣٢٥.

والرسل على نبينا وآله عليهم الصلاة والسلام، الذين تلاهم الإمام الحسين عليه السلام.

أمّا العبرة والدمعة فقد بدأ بها خالق الخلق مع خلق آدم عليه السلام إذ ذكر له جبرائيل عليه السلام، الخمسة الأطهار محمداً وعلياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فقال له آدم عليه السلام: «**وما بالي إذا ذكرت الحسين تدمع عيني وتثور زفرتي ودوامه الله تعالى مع الأنبياء في قصص مرورهم بأرض كربلاء المقدسة ومعاناتهم فيها واستمر ذلك على امتداد العصور، حتى قال الحسين عليه السلام: أنا قتيل العبرة لا يذكرني مؤمن إلاّ بكى**»[1]، وأمّا العبرة والأسوة فقد أشار إليها الإمام الصادق عليه السلام في زيارته لجده الحسين عليه السلام يوم الأربعين، وهو يخاطب الله سبحانه تعالى مشيراً إلى الحسين عليه السلام: «وبذل مهجته فيك ليستنقذ عبادك من الجهالة وحيرة الضلالة» فالعباد: لا خصوص فئة أو أمّة أو جيل، والاستنقاذ) وهو أشارة إلى ما منيت به الشعوب ـ لا تزال ـ من الارتطام في شتى ألوان المآسي والكوارث التي أساسها الجهل والضلالة والحيرة التي عمت معظم الناس في مسيرهم ومصيرهم، هذه هي البنود التي تشكل جانباً من أهداف الإمام الحسين عليه السلام، في أقوال

---

(١) انظر: كامل الزيارات ، محمد ابن قولويه ، ٢١٥.

وأعماله من خلال تاريخ عاشوراء، وما أجدر بالمؤمنين في كل مكان أن يقوم كل واحد منهم على شتى الأصعدة، بما يمكنه من التعبئة العالمية في مجال العبرة والدمعة بإقامة المجالس الحسينية والشعائر التي هي الامتداد الظاهر لشعائر الله عزّ وجلّ، وقد وصفها القرآن الكريم أنها من تقوى القلوب، وهي التي جعلت من الجزع المذموم شرعاً في عامة المصائب ممدوحاً ومأموراً به جوراً عليه، إذا كان من أجل عاشوراء وفي سبيل سيد الشهداء عليه السلام.

وهي العبرة والدمعة التي تواترت وتكاثرت من أهل بيت النبوة والرسالة عليهم السلام، حتى أقرحت جفونهم، وقال عنها الإمام الرضا علي بن موسى عليهما السلام في ما روي عنه عن إبراهيم بن أبي محمود: «**إن يوم الحسين أقرح جفوننا وأذل عزيزنا وأورثنا الكرب والبلاء إلى يوم الانقضاء**»[1].

وهي التي أدمت تلك العيون الطاهرة لولي الله الأعظم الإمام المهدي المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف)، كما جاء في زيارة الناحية المقدسة: «**لأبكين عليك بدل الدموع دماً**».

وفي مجال العبرة والأسوة التي أعلن عنها الإمام الحسين عليه السلام مرات

---

(١) الامالي: الصدوق: ١٩٠.

عديدة منذ خروجه من مدينة جده الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وفي مكة المكرمة، وعلى امتداد الطريق إلى كربلاء، وفي كربلاء ليلة عاشوراء، ويوم عاشوراء عبر خطبه ورسائله وكلماته، وعبر تعامله في هذه المسيرة الظافرة وتلك العبرة، القيام بالعمل الجاد من أجل اندفاع الجهل والضلالة عن عموم الناس.

ولا يتحقق ذلك إلاّ بتظافر الجهود والإخلاص لله تعالى والتضحية بنية عالية في سبيل توعية عباد الله تعالى، ومد نور أهل البيت عليهم السلام إلى كل صقع ومكان ومدينة وقرية، وبيت ورجل وامرأة، وتطبيق نهج الحسين عليه السلام في الاستفادة من عاشوراء لإنقاذ عباد الله تعالى من المظالم المعاصرة والقتل والسفك والتشرذم والتعذيب والاستهانة بالكرامات التي يتعرض لها اليوم كثيراً من الناس والمسلمون خاصة في مختلف أقطار الأرض.

وأخيراً: ليأخذ المسلمون من ثورته في قبال الظلمة والطغاة والحكام المنحرفين والمستبدين الذين أحلوا ما حرم الله وحرموا ما أحل الله، حتى أصبح المنكر لديهم معروفاً، والمعروف بشرعهم منكراً، نعم ليأخذوا درساً ثميناً يأخذ بأيديهم إلى العلو والسمو في الحياة الدنيا والآخرة، وشحنة من القوة التي ليس فوقها قوة ليقابلوا بها كل من عاث في الأرض فساداً وحكم بغير ما أنزل الله، وشعارهم

نفس شعار الحسين عليه السلام، ذلك الشعار العظيم، الذي بقي يرن صداه إلى يومنا الحاضر، وسيبقى إلى آخر أيام الدنيا شعاراً لمن أراد التحرر، وأبى لنفسه الخنوع والخضوع لأي إنسان كان، نعم ذلك شعار الحسين عليه السلام حينما سولت لأولئك الجهلاء أنفسهم الخسيسة، ونواياهم الخاطئة أن يسوموه ضيماً وأن يخضعوه بالاستسلام إلى طاغيتهم الملحد وعجلهم الزنيم اللئيم يزيد بن معاوية (عليه لعائن الله وملائكته والمؤمنين)، والحسين عليه السلام نفس أبيه عليه السلام بين جنبيه.

فـــأبى أن يعـــيش إلاّ عزيـــزاً

أو تجلـى الكفـاح وهـو صـريعاً

فسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيّاً، ومن هنا عودتنا إلى الحسين عليه السلام وإلى ثورته باستمرار في جميع مراحل حياته، ولا سيما في الذروة من هذه الحياة، وهي ثورته نستعيدها ونتفهمها ونعايشها في مراحله، من بدايتها إلى نهايتها الدامية المشرفة، وننفعل بها، لأننا بعد أن اكتشفناها اكتشفنا أنفسنا فيها، اكتشفنا فيها أجزاءً من قلوبنا ومن مطامحنا، ومن إنسانيتنا وسمعنا منها أكثر من نداء يهتف بأنبل ما يشتمل عليه تكويننا الإنساني، لذا غدونا نشعر بالجوع إليها، فإذا الحاجة ماسة إلى إعادة هذه الذكرى لأبي الأحرار وأهل بيته الأطهار وأصحابه الأبرار.

وهذا أخر ما نختم به بحثنا، وصلى الله على خير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين، والله المؤول أن يوفق الجميع لهذه العبرة والأسوة وان يرزقنا زيارة الحسين وأهله الطيبين الطاهرين في الدنيا وشفاعتهم في الآخرة وهو المستعان، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بكاء النبي وأهل البيت عليهم السلام

لم يكن في وقت من الأوقات أمر حزن ناتج من إحساس بالضعف والانكسار، ولا عبرة يأس وقنوط، لأن تلك الأحداث، بظروفها ومآسيها قد مضت، وتغيرت، وذهب أهلوها، وعرف حقها من باطلها، وأصبحت للمقتولين كرامة وخلودا، وللقاتلين لعنة ونقمة، لكن البكاء عليهم وعلى قضيتهم، كان أمر عبرة وإثارة واستمداد من مفجرها، وصانع معجزتها، وحزنا على عرقلة أهدافها المستلهمة من ثورة الإسلام التي قام بها النبي صلى الله عليه وآله، والدليل على كل ذلك أن لكل حزن أمدا، يبدأ من حين المصيبة إلى فترة طالت أو قصرت، وينتهي ولو بعد جيل من الناس، أما قبل حدوث المصيبة، فلم يؤثر في المعتاد، أو المعقول للناس، أن يبكوا لشئ، لكن قضية الحسين أبي عبد الله عليه السلام، قد أقيمت الأحزان عليها قبل وقوعها بأكثر من نصف قرن، واستمر الحزن عليها إلى الأبد، فهي إلى القيامة باقية، والذين أثاروا هذا

الحزن، قبل كربلاء، وأقاموا المآتم بعد كربلاء هم الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، فمنذ ولد الحسين عليه السلام أقام النبي صلى الله عليه وآله مآتم على سبطه الوليد ذلك اليوم، الشهيد بعد غد، فكيف يقيم النبي صلى الله عليه وآله مجلس الحزن على قرة عينه، يوم ولادته، أهكذا يستقبل العظماء مواليدهم ؟ أو لا يجب أن يستبشروا بالولادات الجديدة، ويتهادوا التهاني والأفراح والمسرات؟! وتتكرر المجالس التي يعقدها الرسول العظيم، ليبكي فيها على وليده، ويبكي لأجله كل من حوله، وفيهم فاطمة الزهراء عليها السلام أم الوليد، وبعض أمهات المؤمنين، وأشراف الصحابة [١]، وحقا عد ذلك من دلائل النبوة ومعجزاتها [٢]، وهكذا أقام الإمام علي عليه السلام، مجلس العزاء على ولده الحسين عليه السلام، لما مر على أرض كربلاء، وهو في طريقه إلى صفين، فوقف بها، فقيل: هذه كربلاء، قال :«ذات كرب وبلاء، ثم أومأ بيده إلى مكان، فقال: هاهنا موضع رحالهم، ومناخ ركابهم، وأومأ بعده إلى موضع آخر، فقال: هاهنا مهراق دمائهم [٣]،

---

(١) الخصال: الصدوق: ٢٧٢، أمالي الصدوق: ١٢١، م ٢٩.

(٢) انظر: المجالس التي أقامها الرسول صلى الله عليه وآله في الكتب التالية، تاريخ دمشق لابن عساكر، ترجمة الإمام الحسين عليه السلام: ١٦٥ ـ ١٨٥.

(٣) دلائل النبوة :البيهقي: ٦ / ٤٦٨ ،مسند أحمد: ٣ / ٣٤٣ و٣٦٥ ، أمالي الصدوق: ١٢٦ ، ودلائل النبوة، لأبي نعيم: ٧٠٩ رقم ٤٩٢ .

ونزل إلى شجرة، فصلى إليها، فأخذ تربة من الأرض فشمها، ثم قال: واها لك من تربة، ليقتلن بك قوم يدخلون الجنة بغير حساب» [١]، ورثاه أخوه الحسن عليه السلام وقال له :«لا يوم كيومك يا أبا عبد الله. .. ويبكي عليك كل شئ. . .»[٢]، وحتى الحسين عليه السلام نفسه، نعى نفسه ودعا إلى البكاء على مصيبته، وحث المؤمنين عليه، حيث قال: «أنا قتيل العبرة لا يذكرني مؤمن إلا بكى» [٣]، وهكذا الأئمة عليهم السلام بعد الحسين، أكدوا على البكاء على الحسين بشتى الأشكال .

وكانت ولادة مولانا الحسين الشهيد عليه السلام في حياة جدّه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله في ثالث من شعبان سنة ثلاث للهجرة، وكان بين الحسن والحسين طهر وكان بينهما في الميلاد ستة أشهر وعشراً. وأقلّ الطهر مقدار أقلّ زمان الطهر وهو عشرة أيّام، وإنّ مدّة حمل الحسين عليه السلام ستة أشهر.

وفي مناقب ابن شهر أشوب عن كتاب الأنوار: أنّ الله تعالى هنأ النبيّ صلى الله عليه وآله بحمل الحسين عليه السلام وولادته وعزّاه بقتله، فعرفت فاطمة

---

(١) وقعة صفين: ١٤١ ، أمالي الصدوق: ٤٧٨ و٤٧٩ ،م٧٨ ، تاريخ دمشق لابن عساكر (ترجمة الإمام الحسين عليه السلام:٢٣٥ / رقم ٢٨٠ وانظر الأرقام ٢٣٦ - ٢٣٩.

(٢) أمالي الصدوق: ١٠١ ،م٢٤.

(٣) فضل زيارة الحسين:العلوي: ٤١ / ح ١٣.

فكرهت ذلك فنزلت الآية الشريفة: ﴿حملتهُ أُمّهُ كرهاً ووَضَعَتهُ كرهاً وحَملُهُ وفصالُهُ ثلاثُونَ شَهراً﴾.[١] فحمل النساء تسعة أشهر ولم يولد مولود بستة أشهر عاش غير عيسى والحسين.

وروي الصدوق «ره» بسنده عن صفية بنت عبد المطلب رضوان الله عليها قالت: لمّا سقط الحسين عليه السلام من بطن أُمّه وكنت وليتها قال النبيّ صلى الله عليه وآله: يا عمّة هلمّي إليَّ ابني. فقلت: يا رسول الله إنّا لم ننظفه. فقال: يا عمّة أنت تنظفيّة! وإنّ الله قد نظفه وطهره[٢].

وفي رواية أُخرى: فدفعته إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فوضع النبيّ صلى الله عليه وآله لسانه في فيه وأقبل الحسين عليه السلام، على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله يمصّه. قالت: فما كنت أحسب رسول الله صلى الله عليه وآله يغذوه إلاّ لبناً أو عسلاً، قالت: فمال الحسين عليه السلام، فقبّل النبيّ صلى الله عليه وآله بين عينيه ثمّ دفعه إليّ وهو يبكي ويقول: لعن الله قوماً هم قاتلوك يا بُني ـ يقولها ثلاثاً ـ قالت: فقلت: فداك أبي وأُمّي ومَن يقتله؟ قال صلى الله عليه وآله: بقيّة الفئة الباغية من بني أُميّة لعنهم الله[٣].

وروي أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أذّن في أذنه اليُمنى وأقام في اليُسرى، وعن علي بن الحسين عليه السلام أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أذّن في أُذن الحسين عليه السلام بالصلاة

---

(١) الاحقاف /١٥.

(٢) البحار: ج ٤٢، ص ٢٤٣.

(٣) البحار: ج ٤٣، ص ٢٤٣، نقلاً عن أمالي الصدوق: ص ٨٣.

يوم ولد وروى السيّد البحراني في مدينة المعاجز عن شرحبيل بن أبي عوف قال: لمّا ولد الحسين عليه السلام هبط ملك من ملائكة الفردوس الأعلى ونزل إلى البحر الأعظم ونادى في أقطار السماوات والأرض: يا عباد الله ألبسوا ثياب الأحزان وأظهروا التفجع والأشجان فإن فرخ محمّد مذبوح مظلوم مقهور[١]...

وصية النبي

عاش الإمام الحسين عليه السلام في كنف جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله تقريباً سبع سنوات من عمره الشريف، وكانت تلك السنوات على قلّتها، كافية لأن تجعل منه الصورة المصغّرة عن شخصيّة جدّه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله حتّى يصبح جديراً بذلك الوسام العظيم الذي حباه به جدّه، حينما قال له ـ حسبما روي حسين منّي وأنا من حسين وحسين سبط من الأسباط،[٢] فقد أشرق عليه من نوره ولفح عليه من عطره المعنوي ما تغنى به نفسه وتسمو به ذاته، وقد نحل النبيّ صلى الله عليه وآله نحلة سامية للحسن والحسين حينما قال: ـ أمّا الحسن فإنّ له هيبتي وسؤددي وأمّا الحسين فله جودي وشجاعتي.

---

(١) مدينة المعاجز: ٤٣٨/٣.

(٢) بحارالانوار :٤٣/ ٢٦١، مسند احمد ابن حنبل، ١٧٢/٤.

فاعلم أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قد بثّ في الحسنين من العلوم النافعة والحكمة الساطعة وربى فيهما المؤهلات لأن تجعلهما جديران بمقام الخلافة وهداية الأُمّة بعده ونلاحظ حرصه صلى الله عليه وآله على ربط قضاياهما عقيدة وتشريعاً وحتّى عاطفياً ووجدانياً بنفسه صلى الله عليه وآله شخصياً حتّى يقول لهما: إنّي سلم لمن سالمتم وحرب لمن حاربتم. وفي إشارة صريحة إلى سبب استشهادهما وإعلاماً منه عن تعاطفه معهما وعن تأييده لهما في مواقفهما وقضاياهما فإنّنا نجده صلى الله عليه وآله يقبّل الإمام الحسن عليه السلام في فمه ويقبّل الإمام الحسين عليه السلام في نحره ومن هنا نعرف السرّ والهدف الذي يرمي إليه النبيّ صلى الله عليه وآله في تأكيداته المتكررة تصريحاً وتلويحاً على ذلك الدور الذي ينتظر الإمام الحسن عليه السلام وأخاه الحسين عليه السلام وإلى المهمّات الجليّ التي يتمّ إعدادهما لها، حتى يصرّح بأنّهما: «**إمامان قاما أو قعدا كما أنّه يقول لهما** [1]»، أنتما الإمامان ولامكما الشفاعة، وهو سيّد شباب أهل الجنّة وغيرها من الأحاديث التي وردت في شأن الحسين عليه السلام وما هذا إلاّ أن يقول النبيّ صلى الله عليه وآله: من كان مع الحسين كان مع الحق ومن خالفه ولم يكن معه كان مع الباطل فقد راحت وصايا النبيّ صلى الله عليه وآله

(١) مناقب أل أبي طالب، ابن سهر أشوب ، ١٦٣/٣.

إدراج الرياح إذ لم تكن هناك أذن صاغية وقلوب واعية. كما قال الشاعر:

والطينة السوداء من خبثها هيهات أن تجفوا سجاياها

ومن أين يمتلك معاوية بن أبي سفيان ونغله يزيد تلك الأذن والقلوب وإنّما حقدوا على أهل البيت وفعلوا ما فعلوا بهم حرّفوا سُنّة النبيّ صلى الله عليه وآله وعثوا في الأرض الفساد...

ولاة المدينة في عهد الأمويين

بعد أن خلا الجوّ لمعاوية بن أبي سفيان بعد مقتل الإمام الحسن عليه السلام بالسّم، وأمّا زياد بن أبيه فقد تكفّل بالقضاء على كل العناصر القيادية في العراق، مستعملاً في ذلك أبشع الوسائل.

وفي المدينة عاشت الأرستقراطية العربية في بحبوحة من العيش، عاشت في قصور ناعمة يجلب إليها من كل الأقطار وسائل الترفيه ويعيش في غرفاتها القيان والعبيد ويجلس الأمير في حاشية من صحبه وخدمه والمتزلفين إليه.

وكانت ارستقراطية المدينة تتكوّن أساساً من الولاة السابقين الذين فرّوا بمال بيت المال، أو أُغدق عليهم معاوية ما شاءت له سياسته ليتقاعدوا ويكفّوا يدهم عن السياسة.

ومن كبار المحاربين ذوي الأعطيات الضخمة وأصحاب الثروات الطائلة ومن أبناء هؤلاء جميعاً وأتباعهم. وستصبح المدينة بعد ذلك مكان شاعرياً يظهر فيه الغناء والشعر والموسيقى والرقص كأزهى ما كانت عليه مدينة في عصور الازدهار القديمة.

ومن الممكن تصوّر كيف كانت تفكّر هذه الأرستقراطية، كانت أحاديث السياسة هي الغالبة، وكان البحث عن مواقع القوى ومراكز التجمع والأنصار هو شغلهم الشاغل في المدينة كذلك كان الحسين عليه السلام ظاهراً كأكثر الرجال شعبية، وأظفرهم برضاء عامّة المسلمين وقواعدهم. وكان هناك أيضاً عبد الله ابن الزبير، كما كان هناك سعد بن أبي وقاص، كما كان هناك مروان بن الحكم قطبا بني أُمية الكبير، كما كان هناك عبد الرحمن بن خالد بن الوليد. وغير هؤلاء كثيرون من نفس الطبقة أو أقل قليلاً.

وكل هؤلاء كان يتطلع إلى الخلافة وينظر إلى السياسة ويفكر فيها من هذه الزاوية. ووراءهم مباشرة يأتي الولاة الذين يستمدون سلطانهم في حكم أمصار ضخمة كالعراق ومصر وغيرهما من الانضمام إلى هذا الفريق أو ذاك.

والنظام القومي للدولة عموماً من هذه الأرستقراطية التي تصطدم فيما بينها على السلطة وتكون كل منهما تجمعات حولها في مواقع مختلفة تستفيد منها في تدعيم نفوذها. وتتربص باللحظة المناسبة للوثوب إلى السلطة.

ولكن أقوى الأحزاب جميعاً، هو الحزب الحاكم المنتصر، حزب معاوية بن أبي سفيان الذي لم يكن يملك النفوذ فقط، بل يملك القوّة

الرسمية الضارية أيضاً. وهي القوّة الوحيدة المنظمة. وإذا كانت الأرستقراطية العربية المقيمة في المدينة تملك المال الوفير، فإنّ هذا المال لا يقاس ببيت المال الذي يتحكم فيه معاوية، والذي يجبي إليه في جميع الأمصار التي تخضع لحكم الدولة.

وفي هذا الصراع العنيف من أهل السلطة كثرت التجمعات، وغلبت المصلحة على كلّ شيء، ووصلت الأخلاق العامّة إلى أقصى درجة من الانحدار.

ورأينا كيف يخرج الرجل من ولاء أبيه إلى ولاء أخر في سهولة ويسر وهو في ولائه الثاني أكثر التزاماً من ولائه الأوّل، ثمّ لا يلبث أن ينتقل إلى ولاء ثالث بنفس القوّة. على تعارض كل جبهة من هذه الجبهات. فكان القتل هو أبسط الوسائل التي يستعمل الحكّام في هذا الصراع، إذ كان التمثيل بالحثيث والصلب على الأشجار، وتقطيع الأيدي والأرجل، وألوان العقاب البدني المختلفة هي لغة الحديث اليوميّة. أمّا الوقيعة والدّس والتزلف والخيانة والرقة والنهب فهي السمة العامّة لتلك المرحلة.

وفي سبيل السلطة لم يكن الرجل ذو النخوة يخمل من أن يثلم عرضه إذا كان في هذا منفعة، وقصّة زياد بن أبيه قصّة غريبة تدعو

للتأمّل، حيث نسبه معاوية إلى أبيه أبي سفيان ليكون أخاه. مدعياً أنّ أبا سفيان قد عاشر أُمّه سمية وهي زوجة رجل آخر فأنجب زياداً منها ـ وأغرب ما في هذه القصّة أنّ ادّعاء هذه الأخوة تم في مجلس علني رسمي حتّى يتحقق الإدّعاء على رؤوس الأشهاد فلم يتململ منه زياد. موازناً بين مغانم هذه الأخوة وبين ازدراء الناس له. ففضل أخوة الخليفة على سلامة العرض وزياد، كان في أوّل أمره مع علي عليه السلام، ثمّ على يدي زياد لاقى العلويّون القتل والصلب والتقطيع، بعد أن عمل لمعاوية، وكأن بينه وبين البشر ثأراً قديماً، وزياد هو صاحب قصّة حمر المشهورة التي قتل فيها ستة من المسلمين الشرفاء لأنّهم رفضوا أن يسبّوا عليّاً أمام أعين الناس فهذا الإنتهازي الغريب الذي كان إلى جانب علي عليه السلام كان يدعوا الناس ويأمرهم بأن يسبّوا عليّاً حتّى إذا امتنعوا أوقع بهم أبشع أنواع العذاب، وقصّة حمر وأصحابه أخذت في كتب التاريخ الإسلامي صفحات كثيرة فكان يؤتى بالرجل منهم بعد أن يحفر قبره أمامه ليعدل عن موقفه فإذا أبى قتل ودفن في قبره المحفور، والذي فعله زياد هذا يقصر عما فعله بعده ولده عبيد الله بن زياد على أنّ هناك حادثة تثير التأمّل وتكشف عما يستطيع أن يفعله

الطموح إلى السلطة بالإنسان فهناك رجل اسمه عبد الله بن سلام كان والياً لمعاوية على العراق تزوّج من امرأة هي أرينب بنت إسحاق، وقيل أنّها كانت أجمل امرأة في عصرها وأنّ يزيد بن معاوية رآها فأحبّها، حتّى أمرضه الحبّ. وعرف معاوية، بهذه القصّة وأنّ المرأة امتنعت على ولده ففكر أن يطلقها من زوجها ليزوّجها من يزيد. فأرسل معاوية إلى عبد الله بن سلام فاستدعاه وعندما جاء قربه إليه، ثمّ فاتحه في أن يزوّجه من ابنته. فما كان من الرجل إلاّ أن طار فرحاً، ولكن معاوية عاد فقال: إنّه لا ينبغي أن يجمع إلى زواجه من ابنته زوجه أقرن، ولم يفكّر عبد الله بن سلام إلاّ قليلاً فطلّق امرأته أرينب وبعد الطلاق فوجيء بأنّ ابنة معاوية ترفض زواجه وأنّ معاوية رجل متحضر يرفض أن يرغم ابنته على زواج تأباه.

أمّا أرينب فقد رفضت طلب رسول معاوية، وانتقاداً للموقف سارع الحسين عليه السلام بزواجها حتّى إذا رجع عبد الله بن سلام خائباً ردّها الحسين عليه السلام دون أن يقربها.

مثل هذه القصّة تكشف عن المدى التي وصلت إليه أخلاق الناس، وكيف استطاع الحكم أن يفسد هذه الأخلاق حتّى يهبط بها إلى هذا المستوى.

وسنجد أنّ الأخ يخذل أخاه والابن يعق أباه، وإنّ الخوف والطمع هما المحركان الأساسيان في هذا المجتمع، وفي هذا الجوّ المخيف من انهيار القيم فكر معاوية في أن يورث الخلافة في بيته ولم ينتقض نصف قرن على الإسلام.

وتروي الكتب القديمة أنّ معاوية قد أوحي إليه بهذه الفكرة من أحد الدهاة المتزلفين هو المغيرة بن شعبة وكان الخليفة قد غضب عليه في أمر من الأمور فأراد أن يشتري رضائه بهذه الزلفى، وأن يضيف إليها إسهامه في انتزاع البيعة من الولاية التي يحكمها.

ومثل هذه الرواية لا تستبعد في هذه الظروف، والواقع يؤكّدها، فقد انتهز الأمر فعلاً إلى خلافة يزيد بن معاوية، ولكن الغريب إنّ يزيد هذا كان سكيراً عربيداً مستطيلاً، وقصّة غرامه بأرنيب بنت إسحاق تنبئ عن طبيعته المتبطرة المتفسخة. وإنّها لمرآة في النفاق من المغيرة بن شعبة هذا، أن يقدمه على معاوية بن أبي سفيان خليفة المسلمين.

وبدأ معاوية يعمل لتتقيد الفكرة، غير عابيء بردّ الفعل الخطير الذي سيحدثه في الرأي العام للمسلمين، فما من مسلم إلاّ ويعلم سيرة يزيد، وما من مسلم إلاّ ويرفض أن يتحوّل الإسلام إلى كَسروية أو قيصرية.

ومع ذلك فقد فرض يزيد خليفة على المسلمين وبويع بالخلافة في عهد أبيه ولست بحاجة إلي تقصي قصّة هذه البيعة ولا ما قيل من

روايات كثيرة عن الأسلوب الإرهابي الذي أتبعه معاوية إلاّ أنّ الواضح أنّ الشعب كان في واد والسلطة في واد آخر.

وحين يحكم السيف، تضيع الكرامة وستسلم الناس ويستدعون من أنفسهم كل الكوامن الحياتية ليعايشوا السلطة القاهرة باسلمة من طباعها.

تم الفراغ منه في شهر شوال ١٤٢٩هـ

خادم أهل البيت عليهم السلام

الشيخ إبراهيم لفته ماضي العبادي

فهرست المصادر

القرآن الكريم

١- **الأمالي**، الشيخ الطوسي، طبعة بيروت.

٢- **الأمالي**، الشيخ الطوسي، طبع النجف .

٣- **الأمالي**، الشيخ الصدوق، طبع قم المقدسة .

٤- **الإرشاد**، الشيخ المفيد، طبع الآخوندي .

٥- **الاختصاص**، الشيخ المفيد، طبع غفاري .

٦- **الاحتجاج**، الشيخ الطبرسي، طبع قم المقدسة .

٧- **أعلام الورى** ،الطبرسي، طبع الدار العلمية الإسلامية .قم .

٨- **إرشاد الساري** في شرح صحيح البخاري .

٩- **الأخبار الطوال**، الدينوري، طبع القاهرة .

١٠- **الاصابة**، ابن حجر العسقلاني،بيروت.

١١- **الإمامة والسياسة**، ابن قتيبة الدينوري، طبع إيران (١٣٥٦ هـ).

١٢- **بحار الأنوار**، محمد باقر المجلسي، طبع كمباني.

١٣- **تاريخ الطبري**، طبع أُرومية ـ قم المقدسة .

١٤- **تاريخ الخلفاء**، جلال الدين السيوطي .

١٥- **تذكرة الخواص**، ابن الجوزي، طبع حجري ـ النجف الأشرف .

١٦- **تحف العقول** ـ طبع غفاري ـ طهران .

١٧- **الأغاني**، ابن فرج الاصفهاني، طبع بيروت .

١٨- **بشارة المصطفى**، الطبري، طبع بيروت .

١٩- **حياة الحيوان**، الدميري، طبع بيروت .

٢٠- **ديوان** السيد حيدر الحلي .

٢١- **روضة الواعظين**، الفتال النيسابوري، طبع قم ـ بصيري .

٢٢- **سيرة ابن هشام**، طبع بيروت .

٢٣- **شرح الأخبار**، القاضي نعمان المصري، طبع قم .

٢٤- **شرح الثأر**، ابن نما الحلي المطبوع في البحار .

٢٥- **الصواعق المحرقة**، ابن حجر ـ طبع بيروت .

٢٦- **الطبقات الكبرى**، ابن سعد .

٢٧- **فرسان الهيجاء**، الشيخ ذبيح الله المحلاتي، طبع طهران .

٢٨- **الفصول المهمة**، ابن الصباغ، طبع حجري ـ النجف الأشرف .

٢٩- **مسند احمد** ابن حنبل، بيوت، دار الفكر.

٣٠- **مدينة المعاجز**، المحقق البحراني، طبع قم .

٣١- **القاموس** للفيروز آبادي، طبع مصر .

٣٢- **المنجد في اللغة والأعلام**، طبع بيروت .

٣٣- **كتاب العين**، طبع الأسوة ـ قم المقدسة ز

٣٤- **لسان العرب**، طبع قم .

٣٥- **نفس المهموم**، طبع قم .

٣٦- **مثير الأحزان**، ابن نما الحلي، طبع قم .

٣٧- **مجمع البيان**، الشيخ الطبرسي، طبع بيروت، وكذا قم المقدسة .

٣٨- **مجمع البحرين**، الطريحي، طبع قم .

٣٩- **مروج الذهب**، المسعودي، طبع بيروت .

٤٠- **مستدرك الوسائل**، المحدث النوري .

٤١- **معاني الأخبار**، الشيخ الصدوق ـ طبع غفاري .

٤٢- **معجم البلدان**، الحموي .

٤٣- **مقاتل الطالبين**، أبو فرج الأصفهاني، طبع مصر .

٤٤- **مقتل الحسين**، الخوارزمي، طبع قم / وكذا النجف الأشراف .

٤٥- **اللهوف**، ابن طاووس، طبع قم .

٤٦- **المناقب**، ابن شهر أشوب، طبع قم ـ النجف الأشراف .

٤٧- **المنتخب**، الطريحي، طبع قم / النجف الأشرف .

٤٨- **منتهى الآمال**، المحدث القمي، طبع قم المقدسة .

٤٩- **منية المريد**، الشهيد الثاني، طبع قم المباركة

٥٠- **نور الأبصار**، الشنبلنجي، طبع مصر .

٥١- **نهج البلاغة**، طبع بيروت .

٥٢- **وسائل الشيعة**، طبع إيران ويرون .

٥٣- **ينابيع المودة**، طبع قم .

٥٤- **أُسد الغابة**، ابن الأثير.

٥٥- **بصائر الدجات** أبو جعفر الصفار .

٥٦- **تاريخ دمشق**، ابن عساكر .

٥٧- **السيرة الحلبية** .

٥٨- **فتوح البلدان**، البلاذري .

٥٩- **الملل والنحل**، عبد الكريم الشهرستاني، طبع بيروت .

٦٠- **دائرة المعارف الكبرى** .بيروت، الاعلمي

٦١- **الكامل في التاريخ**، ابن الأثير، طبع قم .

٦٢- **تاريخ الإسلام**، تأليف المنظمة العالمية للحوزات العلمية والمدارس **الإسلامية**، قم .

٦٣- سير **أعلام النبلاء**،الذهبي،بيروت، دار الفكر.

٦٤- **المعلوف**ابن قتيبة،بيروت،دارا لفكر.

٦٥- **مواقف الشيعة**، الأحمدي، طبع قم / انتشارات إسلامي .

٦٦- **دلائل الإمامة**، أبو جعفر الطبري، طبع النجف الأشرف .

٦٧- **السيرة النبوية**، ابن هشام الحميري،بيروت.

٦٨- **شرح نهج البلاغة**، ابن أبي الحديد المعتزلي، طبع بيروت / قم.

٦٩- **العقد الفريد**، طبع بيروت .

٧٠- **المحاسن والمساويء**، البيهقي، طبع قم .

٧١- **عيون الأخبار** لابن قتيبة، طبع بيروت .

٧٢- **الغدير**، **الاميني**، ط بيروت.

٧٣- **صحيح البخاري**، طبع بيروت .

٧٤- **صحيح مسلم**، طبع بيروت .

٧٥- **الخصائص**، النسائي ن طبع بيروت .

٧٦- **الاستيعاب**، طبع بيروت .

٧٧- **أنساب الأشراف**، البلاذري،بيروت.

٧٨- **كشف الغمة** في معرفة الأئمة، طبع قم .

٧٩- **النزاع والتخاصم**، المقريزي، بيروت.

٨٠- **مستدرك الحاكم**،**بيروت**،دار الفكر.

٨١- **وقعة صفين**،نصر ابن مزاحم،بيروت.

٨٢- **المعجم الكبير**، الطبراني،بيروت.

٨٣- **سنن النسائي**،دار الفكر، بيروت.

٨٤- **الخصائص الحسينية**، التستري، طبع قم، وغيرها من المصادر.

الفهرس

كلمة المؤسسة ٥
شكر وتقدير ٦
المقدمة ٧
تمهيد ١١
العداء الأموي للإسلام ١٣
ابرز الشخصيات الأموية المعادية للإسلام ٣١
اولاً: أبو سفيان ٣١
عداوة أبو سفيان للنبي ٣٢
إسلام أبو سفيان ٣٤
أبو سفيان يثير الفتنة ٣٦
موقف أبو سفيان في اليرموك ٣٧
لا أدري ما جنة ولا نار ٣٨
عطية الخليفة عثمان أبا سفيان ٣٩
فضيلة مفتعلة ٤١
ثانيا: معاوية بن أبي سفيان ٤٩

دعاء النبي صلى الله عليه وآله عليه ٥٤
وقعة صفين ٥٥
أمر النبي بقتله إذا شوهد على منبره ٥٦
وصية والديه ٥٧
عمر بن الخطاب ومعاوية ٥٨
خصاله الموبقة ٦٠
هويته عن لسان الإمام علي عليه السلام ٦١
أهداف معاوية ٦٢
كتاب الإمام الحسين عليه السلام إليه ٦٤
ثالثا: يزيد بن معاوية ٦٦
رابعاً: الحكم بن أبي العاص ٦٨
الحكم يتآمر لاغتيال النبي صلى الله عليه وآله ٦٩
نفيه عن المدينة ٦٩
تحذير النبي صلى الله عليه وآله منه ولعنه ٧١
خامسا: مروان بن الحكم ٧٤
اللعن والمنفى ٧٥
مروان بعد مقتل عثمان ٧٨
عداء مروان لآل البيت ٧٩
الحزن والفرح ٨٣

نهضة الحسين بن علي ٨٥
أسباب الثورة أو الدوافع الرئيسية لها ٩٢
بداية المواجهة ٩٩
حديث الأمان ١٠٣
الحسين يرى جده ١٠٣
العباس عليه السلام يكلم القوم ١٠٤
حديث زينب مع أبي الفضل العباس عليهما السلام ١٠٧
الآثار التي تركتها ثورة الإمام الحسين عليه السلام ١١١
بكاء النبي وأهل البيت عليهم السلام ١١٦
وصية النبي ١٢٠
ولاة المدينة في عهد الأمويين ١٢٣
فهرست المصادر ١٣١
الفهرس ١٣٧